السنة الثانية — العدد ٢٣ — ١ ك ١ سنة ١٨٩٩

المشرق

مجلّة الضياء ولغة الجرائد

لجناب الكاتب الفاضل رشيد افندي الشرتوني عزّز البشير ومدرّس الخطابة في كلّيّة القديس يوسف

يعلم القراء انهُ قد سبقت لنا مقالتان في مجلة المشرق (٢ : ١٠٩ و ٧٩٤) تحت هذا العنوان صححنا فيهما ما ارتكبتهُ مجلة الضياء من الشطط في نقدها لما يستعملهُ بعض الكتبة من الالفاظ والتراكيب. وقد رأوا اننا اعتمدنا في كلّ ما كتبناهُ على نقول العلماء الثقات ممن يُعوَّل عليهم في المسائل اللغويّة فاتحفونا من فضلهم بجوائز الاستحسان والثناء. غير ان مجلة الضياء التي يتوهَّم صاحبها انهُ رُزق العصمة في كلّ ما يقول ويكتب أبى الّا المكابرة والدفاع عن اوهامهِ بما ليس فيهِ وجه من السداد فاثبت في جريدة المحروسة التي تطبع في مصر ردًّا ذا اربعة أعمدة نسبهُ الى الجريدة المذكورة وشحنهُ بالمغالطات التي عادت حجّةً عليهِ لا لهُ وها نحن نشرع في بيان ذلك

كانت مجلة الضياء قد ادَّعت ان « استأسر » بمعنى انقاد واستسلم وانها لا تأتي متعديةً على سبيل الاطلاق فلمَّا رددنا كلامها بشهادة المطرّزي في المغرب حيث قال انها وردت متعديةً في حديث عبد الرحمن وصفوان وهو « انما استأسرا المرأتين اللتين عندهما من هوازن » عادت فادَّعت اننا حرّفنا الشهادة المذكورة قائلةً ان أصلها هكذا « استأسر العدوُّ اذا اعطى بيدهِ وانقاد وهو لازم كما ترى ولم نسمعهُ متعديًا الّا في حديث عبد الرحمن وصفوان الخ » واستنتجت من ذلك ان النصّ اولى ان يكون حجّة علينا لا لنا. وهو في الحقيقة استنتاج غريب ألا ترى أنها كانت قد زعمت ان استأسر لم يرد اصلًا متعديًا فلمَّا أردنا نقض هذا الزعم اثبتنا من كلام المطرّزي ما

يكفي لتخطئتنا وهو تصريحه بورود هذا الفعل متعديًا ولما كان بعض النص كافيًا لتفنيد قولها لم نرَ داعيًا لايراده كله. واغرب من ذلك قولها « ان ورود هذا الفعل في الحديث المذكور لا حجة فيه لان الاحاديث كثيرًا ما تُروى بالمعنى» فكأنها حسبت ان المطرّزي روى هذا الحديث بمعناهُ اثباتًا لورود استأسر متعديًا . وان ما يستشهد به اللغويّون في المعجمات من الاحاديث بيانًا لوجوه استعمال الكلام يروون معناهُ دون لفظهِ وهذا منتهى الغرابة. نعم ان من يروي حديثًا لا ثبات حكاية او حادثة قد يتفق لهُ ان يرويه بمعناهُ ولكن من يستشهد بكلام العرب اثباتًا لتعدي فعل او لزومهِ مثلًا يستحيل عليهِ الَّا ان يأتي باللفظ عينهِ لانهُ انما يسوق الحديث لبيان حالة ذلك اللفظ ووجه استعمالهِ والَّا زال الغرض الذي يرومهُ من ذكر الحديث. أفلا ترى الضياء هنا انها تحاول المكابرة والإصرار على الخطإ وليس هذا شأن العلماء الصادقين الذين يتوخون من الابحاث ظهور الحقائق . على ان ورود استأسر متعديًا ولو في كلام واحد فقط من العرب هو حجة كافية لاستعمالهِ متعديًا دون ان تتوجَّه الى مستعملهِ ملامة او انتقاد

ثم انها ما لبثت ان اضافت خطأً الى خطإٍ آخر أقبح من الاول فقالت :« ولذلك لم يتخذها (الاحاديث) المحققون حجةً في شيءٍ من علوم اللغة » وهو كلام لا سند لهُ تردُّهُ كل معجمات اللغة واول شاهدٍ يكذّبهُ اعتماد المطرّزي على حديث عبد الرحمن وصفوان السابق ذكره لاثبات ان استأسر استُعملت متعدّية

وانكرت الضياء ورود رحوم في اللغة بمعنى رَحِم فلما فنَّدنا زعمها بايراد شهادة لسان العرب ادَّعت انَّ « رحومًا من متروك اللغة ولولا ذلك لذكرها سائر اهل اللغة » فنجيبها اننا لم نباحثها في هل رحوم من المستعمل او المتروك لكنَّها لمَّا كانت قد زعمت « انَّ رحومًا بمعنى رحِم لا وجود لهُ في شيءٍ من كتب اللغة » أثبتنا لها من كتب اللغة نفسها وجودهُ . فبدلًا من ان تعترف بالقصور ادَّعت انهُ من اللفظ المتروك مع ان هذه دعوى بلا دليل اولًا لان كتب اللغة لم تنبّه الى شيءٍ من ذلك. وثانيًا ان برهانها على كونهِ من متروك اللغة بعدم ورودهِ في غير اللسان هو برهان واهٍ جدًّا بل « عذر بارد وحجة ساقطة » لاننا لو عملنا برأيها لوجب ان نقول بان كلَّ ما ذكرهُ اللسان ممَّا لم يرد في غيرهِ هو ايضًا من متروك اللغة رغمًا عن كثرتهِ وهذا ممَّا لا يقول بهِ عاقل لان

مزيّة اللسان على غيره هي استيعابهُ لاكثر مما وعى سواهُ من الكلم

انكرت ان أخصاماً هي جمع لخصم فاثبتنا لها بكلام التاج انها « جمع خَصِم ككَتِف واكتاف او جمع خَصْم كفرْخ وأفراخ او جمع خصيم كشهيد واشهاد » فلما ضاق ذرعها عن الجواب وعجزت عن الردّ وكبر عليها الاعتراف بالخطإ قالت انهُ كالوحوم من متروك اللغة وهو « عذر ظريف » ممن صرف العمر في تقليب الصحف. واضافت الى هذا العذر عذراً آخر اظرف منهُ فقالت ان التاج يتردّد في هذا اللفظ بين ان يكون جمعاً لخَصْم او خَصِم او خصيم. والحال انهُ قد مرَّ عليك نصّ التاج وليس في عبارتهِ ما يحتمل التأويل والتخريج الذي ذهبت اليهِ مجلة الضياء بل انهُ يقطع قطعاً بكون الاخصام جمعاً لثلاثة الفاظ فتأمل في إصرار الضياء ودعواها الباطلة لله درها

ثم قالت: « هؤلاء علماء اللغة كلهم لا ترى احداً منهم يورد هذا الجمع لشيء من ذلك » تريد بهِ ايهام القرّاء ان صاحب التاج قد أخطأ في الرواية فلا يصحّ التعويل عليهِ والركون اليهِ ولكن اذا لم نقبل نقل صاحب التاج فعلى من نعتمد ؟ وهل خلوُّ سائر معجمات اللغة من مستدركات التاج داعٍ لعدم تصديق التاج ؟ كلّا ان هذا مما لا يقول بهِ منصف بل انهُ يثبت الفضل للتاج لاحاطته بما لم يُحط بهِ سواهُ من مفردات اللغة. على انهُ اذا كانت مجلة الضياء تريد ان تطعن في جامعي اللغة وتقلِّل الثقة برواياتهم فلا يبقى للباحثين في الامور اللغويّة من سند غيرها صانها المولى. وكيف السبيل الى استشارة صاحبها المعصوم واستدرار معارفهِ في كلّ آن ودقيقة والشقّة بيننا بعيدة والمزار سحيق

واتبعت الضياء ما تقدَّم ذكرهُ من كلامها بقولها « وهو (اي لفظ أخصام) كيفما قدَّرتهُ ليس من القياس في شيء. لان فَعِلًا بفتح فكسر اذا كان صفةً لا يُجمع على أفعال وفَعْلًا الساكن العين من الصحيح وفعيلًا لا يجمعان على أفعال الّا سماعاً فصحّ ان كلّ ذلك على فرض ورودهِ لا يُعدّ الّا من اللغات المتروكة » وهذا في الاكيد ممن يحسب نفسهُ كعبة اللغة وقبلتها في منتهى الغرابة لانهُ يقتضي ذلك يجب ان نحسب من متروك اللغة أنكاراً جمع نَكِر وأنكاداً جمع نَكِد وايقاظاً جمع يَقِظ وأحراراً جمع حَرٍ وأوذالًا جمع وَذِل وأوخاماً جمع وَخِم الخ وكذلك يجب ان نحسب من المتروك ايضاً أزناداً وافراخاً وأفراداً وآنافاً وأشخاصاً والفاظاً وآلافاً وأسماعاً وأغراساً وأرماساً وابعاضاً وألحاظاً

وأوكارًا واجدادًا وأوصالًا واوصافًا (١ الخ وكذا أيتامًا جمع يتيم وأشرافًا جمع شريف وآبالًا جمع ابيل وأشهادًا جمع شهيد وما شاكل ذلك من الالفاظ . فلله درّ الضياء ما اوسع علمها بالعربيَّة

وكانت الضياء قد ادَّعت ان قول الكتبة « أصبح الامر أصلح من ذي قَبَلٍ » هو تحريف لفظي ومعنوي لما جاء في نصوص اللغة من قولهم سآتيك من ذي قِبَل وقَبَلٍ اي في ما يُستقبل من الزمان . وهذه الدعوى كما ترى باطلة ساقطة لان العبارة من وادٍ ودعوى الضياء من وادٍ . ولذلك فنَّدنا هذا الزعم في ما سبق لنا من المقالات واثبتنا انهُ لا مانع من القول « أصبح الامر أصلح من ذي قَبَلُ » اي من الحالة التي كان عليها قبلًا قياسًا على قولهم « سآتيك من ذي قَبَل » اي فيما هو مستقبلٌ من الأيام وبيَّنا للضياء ان كُتب اللغة ليس من شأنها ان تدوّن كل صوَر التراكيب وان الكاتب يؤلف الالفاظ على حسب ما يستدعيه المعنى المقصود وانَّ اللغويين لم ينصوا على عدم جواز تركيب هاتين الكلمتين اي « ذو وقَبَل » . ولكن الضياء أبت الّا ان تتمشّى على طريقها المألوف اي الدعوى العارية عن الدليل ودونك ما ردّت به علينا بلسان المحروسة قالت « ومن غريب ما رأينا من تخريجاته تصحيحه قولهم من ذي قبل بسكون الباء . ومفاد كلامه ان ذي هنا بمعنى الذي فتكون هي ذو الطائية فليتأمل ارباب الذوق في هذا التخريج ولينظروا اين هو من بحث الضياء » واوادت بهذه الكلمات ان توهم انها قد اصابت والصواب منها مناط الثريّا . فلتتكرَّم علينا الضياء بشرح معنى « من ذي قَبَل » ولتقل ما هي ذو هنا وما هو ذلك الغرض السامي الذي لم تتصل اليه مداركنا من بحثها ؟

وقد عرف القرّاء ان الضياء تطاولت على الحارث بن حلزة اليشكري صاحب المعلقة المشهورة فانكرت عليه تأنيث « الضوضاء » قائلة انها لفظ مذكر . ولكن دفعنا هذه الدعوى بشهادة ابن سيده الذي لا تلحق الضياء لهُ غبارًا فانهُ قال كما جاء في اللسان « وعندي ان ضوضاء ههنا فعلاء » اي انها من باب شحناء وبغضاء . ثم زدنا على ذلك انها لو كانت مذكرة فلا سبيل لتخطئة الحارث في تأنيثها على تأويلها بمرادف لها مؤنث

١) راجع مقالة حضرة الاب حنَّا خليل مرتا في ان جمع فَعل على أفعال قياسي (المشرق ٣ : ٩٧٧)

واستشهدنا وتتنزر بشعر قديم للدعجاء بنت المنتشر ترثي به اباها حيث تقول:

« اني اتتني لسان لا اسر بها الخ » وذيلنا ذلك بكلام الخزانة التي تقول:

« اللسان ههنا بمعنى الرسالة وارادت به نعي المنتشر ولهذا أَنثت لهُ الفعل »

ولكن صاحب الضياء كابر وأبى ألا ان يثبت لنفسه صفة العصمة ولو انكرها عليهِ جميع الناس فردَّ بلسان الجروسة قائلًا « اذا كان ضوضاء ههنا فعلاء فمن اي مادَّة بُني وهل ورد في اللغة ضاض يضوض حتى نقول انهُ ورد منهُ ضوضاء » وظنَّ أنهُ اتى هنا بالمعجب المعجز وما درى ان تفنيد هذا الكلام من أيسر الاشياء. قال ابن سيده في كتاب المقصور والممدود عند ذكره الالفاظ التي جاءت على فعلاء ان « صرف ضوضاء لغة » فالمفهوم من ذلك ان الفصيح المستعمل هو منعها من الصرف لالف التأنيث وان الهمزة في آخرها ليست في المشهور مقلوبةً عن واو كدعوى الضياء بل عن الف فالذين يذكّرونها ويصرفونها وهم أقلّ من القليل يجعلونها بمنزلة قمقام والذين يؤنثونها ويمنعونها وهم الجمهور يجعلونها بمنزلة عوراء.

وقول صاحب الضياء ان ضوضاء ليست فعلاء لعدم ورود ضاض في اللغة ليس سديدًا فكم من أفعال ماتت وبقي بعض فروعها. واللبيب يدري ان الحكم على ضوضاء كالحكم على غوغاء. وهاك ما قالهُ سيبويه في الكتاب « واما غوغاء فمن العرب من يجعلها بمنزلة عوراء فيؤنث ولا يصرف ومنهم من يجعلها بمنزلة قضقاض فيذكّر ويصرف ويجعل الغين والواو مضاعفتين بمنزلة القاف والضاد ولا يجيء على هذا البناء ألَّا ما كان مردَّدًا والواحدة غوغاءة » فانت ترى ان غوغاء فعلاء ولم يرد « غاغ » في معاجم اللغة

وكأني هنا بصاحب الضياء يحتج على سيبويه لجيء كلامهِ عاضدًا لنا وعليهِ فلا نعجب اذا قام مخطئًا لامام النحويين والصرفيين واصفًا اياه بالجهل. على ان المذكور اذا اراد الاصرار بالرغم عمَّا قدَّمنا على دعواهُ الاولى بان ضوضاء ليست فعلاء لعدم ورود « أضوض » لها اجبناهُ أما قيل أتان كَشاء ولم يقولوا حمار أكش وقوس درعاء ولم يقولوا حصان أروع وناقة فصواء وقرواء ولم يقولوا جمل أفصى وأقرى. أما قالوا ديمة هطلاء ولم يقولوا سحاب اهطل. ومهما كان من الامر فقد يمكن ان يكون لضوضاء أضوض وهو مهجور فقد جاء في اللسان « حكى ابو علي عن قطرب في نوادر لهُ ان مذكَّر الغوغاء

أغوغ . وقال ابن منظور وهذا نادر غير معروف »

وقد كنّا استهجنا من الضياء تحاملها على مشاهير الكتّاب المولدين مثل الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني ولسان الدين بن الخطيب وابنّا لها انّ هؤلاء وامثالهم اعلى من نقد الناقدين لانّ الجميع يشهدون لهم بالامانة في اللغة والاطلاع من كتبها على ما لم يطّلع عليه المتأخرون ولهذا يصحّ الاعتماد عليهم كالمعجمات واطلنا في هذا المعنى وأبنّا بالنقول وَهم الضياء . فاجابت على ذلك بان تخطئتهم « ليست بالامر الغريب لانهم كانوا يسمعون اللغة العامية ويتكلّمون بها نظير كتابنا اليوم » ولعمري انّ هذا « عذر بارد » اذ انّه كيف يخطر ببال عاقل منصف انّ الشاعر البليغ والناثر الجيد من مثل هذه الطبقة يخترع الفاظاً ليس لها اصل في العربيّة وهو — كما قال صاحب الجاسوس — « بين ظهراني علماء يتقدون على الطائر طيرانه وعلى البعير وخدانه »

امّا انه لو كان ألّف احد هؤلاء المولدين كتاباً في اللغة لقبلناه لا محالة فهل من الانصاف ان تُقبل روايتهُ ويُردّ كلامه في شعره ونثره !!! قال صاحب الكليات : « استعمال الثقات الالفاظ في المعاني يُجعل بمنزلة نقلهم وروايتهم وان لم يوجد في كتب اللغة ولا في استعمال العرب » فليتأمل صاحب الضياء .

وقس على ما تقدم سائر احتجاجات الضياء التي أعرضنا عنها مخافة التطويل غير اننا لا بدّ ان ننبه الى بعض أمور الاول ان الضياء قد كرّرت عدّة مرات قولها بان فَعْلًا بفتح وسكون الصحيح العين لا يُجمع على أفعال ألّا سماعاً وهو غير صحيح لان من يستقري كتب اللغة كما فعل حضرة اللغوي الاب حنا نونا (راجع المشرق ص ٩٧٨) يرى ان ما سُمع عن العرب واثبتتهُ المعجمات من جمع فَعْل الصحيح العين على أفعال هو اكثر جدًّا ممّا سُمع من جمعه على أفْعُل وفِعال وفُعلان لان الوارد على فعال مئة واثنان واربعون وعلى فُعلان اثنان وثلاثون واما الوارد على أفعال فثلاثمائة وثلاثون كما يعرف ذلك من طالع الاساس والمختار والمصباح واللسان والقاموس والتاج

فعلى الضياء اذًا ان تراجع الامهات المذكورة لتقف على صحّة هذا القول ولا يعذرها كونها قلّدت بعض النحويين في ما زعمت لان من يكتب في أمور اللغة ويدّعي فيها منزلةً رفيعة منتقدًا على الاولين والآخرين ينبغي ان لا يفوتهُ مثل هذا الامر . فهذا صاحب الجاسوس لمّا كان من الباحثين في أمور اللغة نظر بعين الناقد الى مقالة الصناني

في العباب عند زعمهِ ان افتمل متعدّيًا من النوادر وتروى في مقالة صاحب القاموس ايضًا في المغني نفسه وفي كلام ابن الحاجب وغيره من قال قولهما « فكدّ الذهن واسهر الجفن » وقلّب كتب اللغة منقبًا عن صحة قولهم الذي بان لهُ بعد البحث غير مطابق للواقع فاظهر من ثمَّ زيغهُ وذكر من افتمل المتعدّي مئات .

وكانت الضياء قد غالطت عدي بن زيد أحد شعراء الجاهليَّة في استعماله موثق بمعنى موثق وقالت « انا وقع لهُ ذلك لانهُ كان قرويًا كما ذكر الاصفهاني في ترجمته » . فاجبناها ان عديًا من اهل الجاهلية الذين يُحتج عنهم اللسان وانَّ قرويتهُ لا تدلُّ على انهُ يغلط في ما يستعمل من الفاظ وتراكيب والا لزم ان نغلّط غيرهُ ايضًا من شعراء الجاهلية المديدين بهذه الحجَّة الوحيدة فقط اي كونهم من اهل القرى وهذا مما لا يقول به احد لبطلانه غير ان الضياء اصرَّت على قولها وأوردت في ردّها الاخير كلامًا لابن قتيبة عن عدي يقول فيه « انهُ كان يسكن الحيرة ويدخل الارياف فثقل لسانه واحتُمل عنهُ شيء كثير جدًّا وعلماؤنا لا يرون شعرهُ حجَّةً » وظنَّت انها وقعت على شيء لم يقع عليه غيرها فاذا كان شعر عدي — كما تزعم — لا يصلح حجة فلماذا يحتجّ به جامعو كتب اللغة كابن منظور وغيره من اصحاب المعجمات . واذا كان قد ثقل لسانه لسكناهُ في الحيرة فكيف احتمل عنهُ شيء كثير جدًّا مع ذلك الثقل وكيف يستطيع ثقيل اللسان في لغة ان ينظم فيها القصائد الحسان ويكون كاتب كسرى بالعربيَّة وترجمانًا بينهُ وبين العرب . واذا كان لا يصلح حجَّة فكيف نُظمت داليتهُ الطائرة الذكر في جملة مجمهرات العرب وكيف قال عنهُ ابن قتيبة نفسه انَّ لهُ قصائد من الغُرَر في جملتها القصيدة التي وردت فيها لفظة موثوق وهي من ارقّ الشعر وانفسه . وكيف اختار البحتري في حماسته بعضًا منها ذاكرًا اياها في مقدّمة الشعر الجيد . فصحَّ اذًا ان ابن قتيبة قلّد في كلامه عن عدي بعض الذين كتبوا ترجمتهُ ممن لم يكونوا عارفين بما لهُ من المنزلة العالية

ثمَّ اذا كان عدي هذا ممن يرتكب الغلط في العربيَّة فكيف قال عنهُ الاصفهاني نفسه « انهُ خرج أفصح الناس بالعربيَّة . . وان فروخ هامان قال يومًا لكسرى ان عندي غلامًا من العرب مات ابوهُ وخلّفهُ في حجري فرّبيتهُ وهو افصح الناس وأكتبهم بالعربيَّة والفارسيَّة » قال السيوطي « بكلٍّ يُحتجّ والى كلٍّ يُحتاج » ومرادهُ ان كل شاعر جاهلي مهما كانت صفتهُ يصلح ان يحتجّ به . واذا كان اهل اللسان ما توقّوا اشعار الجانين من

العرب كما قال صاحب المزهر بل رووها واحتجُّوا بها واذا كانوا ايضاً أخذوا عن الاولاد قبل البلوغ فكيف صحَّ للضياء ان تدَّعي هذه الدعوى السقيمة التي تكذّبها حقيقة الحال

هذا واننا بعد ما رأينا من احتقار صاحب الضياء جلة علماء العربيَّة ومشاهير كتبتهم وشعرائهم حتى الجاهليين منهم هان عندنا ما قرأناهُ في كلامهِ من الفاظ الاستهانة بنا ولم نلتفت عليها اقلَّ اهمية فاذا كان لا يراعي الادب مع السلف وخاصة المتقدّمين الذين يستحيي الكل بانوار معارفهم فهل يُؤمل منهُ ان يعاملنا بغير هذه الطريقة

وقد كنَّا قبلًا نظرنا نظرًا خفيفًا في الفصل الذي عنونهُ « بلغة الجرائد » دون ان نتعقَّب كل شيء فيهِ فضلًا عن انهُ لم تكن بين ايدينا كل الاجزاء التي كتب فيها ذاك الفصل امَّا الآن وقد اطلعنا عليها جميعًا فرأينا فيها مؤاخذات كثيرة جديدة تستحق الذكر فاحببنا التنبيه الى اخصها لئلا يطول الكلام وينفد صبر القراء

فمن ذلك انهُ غلَّط صاحب نفح الطيب في قولهِ « ولا يخفاك حسن هذه العبارة » وسراج الدين المدني في قولهِ:

« فاجبتُ ما يخفاكمُ حال السراج مع الرياح »

فقال ان «يخفى» لا يتعدَّى بنفسهِ بل يتعدى بعلى. وعدَّ هذا وهمًا غريبًا مع انهُ هو الواهم لان مفعول اللازم قد يُحذف فيصل الى مفعولهِ بنفسهِ كما قال النحويون واستشهدوا عليهِ بقول الشاعر « تمرُّون الديارَ ولم تعوجوا الخ » وقاسهُ بعض ائمتهم مع غير أنَّ وأنْ بشرط تعين الحرف ومكان الحذف كما هنا وعليهِ فقد المنتقد اذًا باطل فبقي على صاحب الضياء ان يخطِّئ ائمة النحويين وليس هذا بكبير على سعة علمه

ومن سقطاتهِ تغليطهُ الكتبة في استعمالهم الشهامة بمعنى المروءة وعزَّة النفس قال « وليس ذلك في شيء من كلام العرب ولكن الشهم عندهم الذكي المتوقد الفؤاد . . . قال الفراء . الشهم في كلام العرب الحمول الجيِّد القيام بما حُمّل وكله بعيد عن المعنى الذي يريدونهُ كما ترى »

والجواب عليهِ ان قول الفراء الذي ظنَّهُ مساعدًا لهُ جاء حجةً عليهِ اذ ما معنى قولهِ « الحمول الجيِّد القيام بما حُمّل » سوى ذي المروءة والنخوة والانسانيَّة . قال في المصباح: المروءة آداب نفسانيَّة تحمل مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات » وقال في التعريفات « الشهامة الحرص على مباشرة امور عظيمة

تستتبع الذكر الجميل » فلينظر العاقل وليحكم هل يمكنهُ ان يستنتج من اقوال ايمة اللغة انَّ المروءة هي غير الشهامة

ومن تلك الاوهام العديدة ايضًا اخذهُ على الكتبة قولهم « تعذَّر عن الامر » وزعم « انهم يستعملونهُ بمعنى امتنع عليهِ الامرُ والصواب تعذَّر عليه » والجواب انهم يستعملون تعذَّر عن الامر بمعنى تأخَّر عنهُ لا بمعنى امتنع عليه الامر. وتعذَّر بمعنى تأخَّر ثابت في كل كتب اللغة وقد استشهد عليهِ ابن منظور بقول امرئ القيس:

بسيرٍ يضجُّ العود منهُ يمنُّهُ اخو الجهد لا يلوي على من تعذَّرا

وكنَّا قد ذكرنا قبلًا ان حضرة الاديب صاحب المكرمة الشيخ عبد الرحمن افندي سلام احد كتبة المحكمة الشرعيَّة في بيروت اهدى الينا كراسة عنوانها « دفع الاوهام لابن سلام » اقتصر فيها على تغليط الضياء في ما خطَّأت بهِ بعض مشاهير الشعراء والناثرين وقد طالعناها بامعان فرأينا ان حضرة كاتبها النحرير قد وقع في انتقادهِ مواقع الصواب

وقد استحسنَّا منها بالخصوص ردَّهُ على صاحب الضياء في مادَّة « يانع » (العددين ١ و ٢) ومادَّة « انفرط العقد » (ع ٥) و « وأكْوَب » (ع ٦) و « انكدر » (ع ١٣) و « تَوَب » (ع ١٧) و « موثوق » (ع ٢٠) و « خفر ذمَّتهُ » (ع ٢١). وقد ناضل المؤلف احسن مناضلة عن كثيرين من ائمة الكتبة كالحريري ولسان الدين ابن الخطيب والمقري وبيَّن للمنتقد انهُ لم يدرك معانيهم او بنى اعتراضهُ على غير سند (راجع الاعداد ٢٦ و ٣٢ و ٣٤ و ٣٨) وكفى بهذا تبصرة وتذكرة. وما العصمة الَّا لله

فوائد لغوية

بقلم جناب الاديب عزتلو الامير شكيب ارسلان احد اعضاء جمعيَّة المستشرقين الفرنسويَّة

١ سألني اديبٌ ما تقول في لفظة « النوادي » فقد وجدناها في كلامك ووجدنا بعضهم ينتقد استعمالها بقولهِ انها لم ترد في متون اللغة وان الوارد في جمع نادٍ هو اندية لا نوادٍ فما جوابك هذا ؟

(قلتُ) لا يُنكر ورود اندية جمعًا لنادٍ في كتب اللغة المعروفة لدينا كما انَّهُ لا

ينكر كون القياس ان يكون جمعُ نوادي لأنهُ كما لا يخفى يجمع فاعل على فواعل لغير العاقل . ثمَّ اظنُّ انَّ الفيروزابادي يُوثَق بقوله وهو يقول في مقدّمة قاموسهِ « خير من حضر النوادي » واذا اعتُرِض بان الفيروزابادي غير جاهلي لم نعدم هذه اللفظة بهذا المعنى في كلام الجاهليَّة نفسه . ورد في مجمع الامثال للميداني عند شرح مثل(زُرْ غِبًّا تزدَد حبًّا) ابيات رواها المفضل لمعاذ الخزاعي فارس خزاعة في وقته في قصّة جرت لهُ مع جحيش بن سودة ومن جملة هذه الابيات قولهُ :

ضربتُ جحيشًا ضربةً لا ثنيةً ولكن بصافٍ ذي طرائق مسلكِ
ولستُ برعديدٍ اذا راع معضلٌ ولا في«نوادي»القوم بالضيق المسلكِ

فان لم نثق بالقياس وبالمسموع من كلام العرب فباذا نثق وعمن نأخذ لغتنا ؟

٢ قال وما تقول في لفظة « استأسر » هل تأتي بمعنى اسر فقد أيَّد ذلك بعضهم وانكرهُ آخرون

(قلت) قد تمسَّك الذين جوَّزوا هذه اللفظة بحديث عبد الرحمن وصفوان نقلًا عن المطرّزي وهذا سند لا يُهزأ به . وقد رأيتها في كلام الكبار مثل ابن الاثير صاحب التاريخ وابن الاثير هذا علمٌ في اللغة من دقّق في عبارته هذه المرسلة عَلِم علوَّ كعبه فيها وضيعة منها وهو يقول في غزوة شهاب الدين اجمير بلاد الهند وغلبته على ملك تلك البلاد عند ذكر وقوع الملك اسيرًا في يد شهاب الدين : « انَّ بعض الحجّاب اخذ بلحيته وضربهُ الى الارض حتى اصابها جبينهُ واقعدهُ بين يدي شهاب الدين فقال لهُ شهاب الدين : لو « استأسرتني » ما كنتَ تفعل بي ؟ قال الكافر : قد استعملتُ لك قيدًا من ذهب اقيدك به الخ . وهؤلاء قوم رأوا من الكتب ما لم نرَ وسمعوا ما لم نسمع

٣ قال وما تقول في لفظة « احتمى » ؟ . (قلتُ) هي واردة في كتب اللغة المعروفة عندنا بمعنى امتنع عن الطعام حِميةً . على انَّ فحول الكتّاب والشعراء الذين حفظوا اللغة نظير جامعي هذه المتون ان لم نقُل اكثر قد استعملوها في معنى طلب الحماية قال ابن الاثير : « واحتمى ثلثمائة من فرسان الافرنج على تلّ فقاتلهم المسلمون » . ووردت في كلامه مرارًا وقال ابن هانئ الاندلسي المضروب به المثل في الشعر وكان يحمل من اللغة امرًا عظيمًا وذلك من قصيدة يهنئ بها جعفر بن غلبون بفتح قلعة كتامة :

على هذه تيماء والابلقُ الفردُ   فسَلْ أجمات الاسد ما فعل الاسدُ

الى ان قال:

فتوحات ما بين السماء وارضها   لها عند يوم الفخر ألسنةٌ لدُّ
سيبقى في ثوب الخليفة طيبُها   وما ثمَّ كافورٌ عليهِ ولا نَدُّ
محرورنَبهُ ما كبَّر الله خاطبٌ   عليها ولا حيٌّ بها ملكًا وفدُ
وكانت هي الدهناء حتى احتمى بها   ملوكُ بني قحطان والشمرُ والجدُ

٤ قال وما قولك في « بارح » هل تأتي بمعنى برَح ؟ (قلتُ) اوردوا على ذلك شاهدًا من كلام الامام عمر رضي الله عنهُ . وها انا ذا مورد شاهدًا آخر ذكر ابن عبد ربّه في باب التوديع في الجزء الثالث من عقدهِ الفريد هذه الابيات من قول اعرابي:

ابكرٌ للبين ام انت رائحُ   وقلبك ملهوفٌ ودمعك سافحُ
الان تبكي والنوى مطمئنةٌ   فكيف اذا بارحتَ من لا تبارحُ
فانك لم تبرح ولا شطَّت النوى   ولكنَّ صبري عن فؤادي نازحُ

٥ قال صاحبنا امّا استعمال « النوال » بمعنى النَيل كما تستعملهُ الجرائد خصوصاً المؤيد فهو غلط فاضح بلا شكّ . (قلتُ) لا اقدر ان اغلّط كلامًا تكلّم بهِ اهل الجاهليَّة ورد في ديوان الحماسة قولهُ من ابيات شهيرة :

وهل هملت عيناي في الدار غدوةً   بدمعٍ كنظم اللؤلؤ المتهالكِ
ارى الناس يرجون الربيعَ وانّما   ربيعي الذي ارجو نوالُ وصالكِ
لئن ساءني أن نلتِني بمساءةٍ   لقد سرّني انّي خطرتُ ببالكِ

٧ قال وهل يُقال عدوٌّ الدّ ؟ . (قلتُ) يظهر ان اللدد من الصفات التي قد يتَّصف بها العدوّ . ويتبعهُ الحنق والحقد وما اشبه ذلك . قال الشاعر وهو ربيعة بن مقروم الضبّي :

والدَّ ذي حنقٍ عليَّ كأنّما   تغلي عداوة صدرهِ في مرجلِ

فاذا كان يقال « ألدّ ذو حنقٍ » فكيف يمتنع ان يُقال عدوّ الدّ . فاستقصى صاحبنا البحث الى الفاظ وتراكيب اخرى زعم بعضهم عدم صحّتها وآخرون جوازها سائلًا فيها رأيي وان كان يستوري بذلك زندا لا يفيده قدحا ويستحثّ ياسرًا لا يجيل في مثل هذا قِدحا فقلتُ لهُ : تلك اعتراضات فيها وفي اجوبتها مجالٌ واسع للقول والعربيَّة بحرٌ لا ساحل لهُ وقد اخطأ كل من ظنَّ احتكار علمها او التبحّر في فقهها وما أُوتيتم من العلم الَّا قليلًا

العوائد اللبنانية

لحضرة الاب يوسف تآني احد اساتذة مدرستنا الكلية (تابع لما سبق)

٤ المدرسة

ان مررت في لبنان قرب عين ماء عذب قراح في ظل جوزة او سنديانة بجوار كنيسة القرية فسمعت ضوضاء ورأيت عصابة اولاد جالسين على الارض متربعين شأن اهل بلادنا يقرأ هذا بصوت جهير ويكتب ذاك فيُسمع لقلمه صرير يترنّم البعض بلحن سرياني والبعض يردّد على مسامع صغار الصلوات او آيات الكتاب المقدس ورأيت في الوسط رجلاً معبساً بيده القضيب وعلى حقوه دواةٌ فقل هذه المدرسة وهذا الرجل المعلّم يحمل في زناره الدواة التي قال عنها حزقيال (٩ : ٢): « اذا بستّة رجال مقبلين ..... وفي وسطهم رجل لابس كتّاناً على حقوه دواة كاتبٍ »

لا يكاد الولد يصل الى الرابعة من عمره الّا ويُزجّ في المدرسة كالمجرم في سجن معتم قاتم يُرسل صباحاً فيرجع مساء ولا يرى من الدنيا نعيماً ولذّةً. عند الصباح تهيئ الوالدة لابنها « ترويقتهُ (١) » اي فطورهُ فتضعها بقماش تحتفظهُ به وكتبهُ توضع في كيس يُدعى « الحمّال » ويُعلق في الكتف فعلى هذا المنوال يذهب الولد الى المدرسة وحدهُ او مع رفيقٍ له

فاوّل يوم يصلُ الى المدرسة يكتب لهُ المعلم أحرف الهجاء على ورقةٍ ويلصقها على لوحةٍ صغيرة يعلّقها التلميذ في عنقهِ فلا يزال اياماً واللوحة على صدرهِ الى ان يتعلم الاحرف. بعدئذٍ يأخذ بدرس الزبور الالهي « المزامير » سطراً سطراً وورقةً ورقةً الى ان يفرغ منهُ تاماً وفي ذلك اليوم يكون عيد في المدرسة تُشدّ ايدي الولد المذكور خلف ظهرهِ ويقودهُ ارفاقهُ مع الاستاذ الى بيت ابويهِ قائلين: « يا من يفكُّ المكتوف ويعمل معنا ها المعروف ». فحين وصولهم يستقبلهم الوالد والوالدة واهل البيت فرحين مسرورين فتصرم الحبال التي كُبِّل بها ويُفرّق على الارفاق « الحلوان » ويكون عادةً زبيب وقضامة او غيرهما من الحلواء. واماَ الاستاذ فكثيراً ما ينفحهُ الوالدان بشيء من الدراهم فيقال

١) الترويقة عند العامة كالرائق في اللغة وهي ما يؤكل ويشرب على الريق

« استفكّ فلان ولدهُ » كأنّ الولد اسير يقدّم عنهُ فدية والّا بقي اسيرًا · وتقول العامّة اذا تورّط احدهم في امرٍ عسير يا فلان استفكني اي نجّني(١

(الكتابة) بعد درس « المزامير » يبدأ الولد « بالكتبة » (ܟܬܒܬܐ) وهي الكتابة ويأخذ بدرس السريانيّة لكي يخدم القداس ويشارك الكاهن في صلوات المساء في الكنيسة (لكي يقعد على القراءة) غير انهُ يقتصر على ان يحسن القراءة دون ان يفقه معنى الكلام واللبناني يفتخر اذا ما خدم ولدهُ في الكنيسة وبعد ذلك من آلاء الله وطَولهِ . واما الكتابة فلا يُدعى الرجل معلمًا ماهرًا ان لم يتقنها واذا كان الشرقي جميل الخطّ حسنهُ فمقامهُ رفيع ومنزلتهُ سامية بين قومهِ ومن ثمّة كان رهطٌ كثيرٌ يتفرغون لاجادة التحرير وحسن الخطّ والتسطير والنصارى يُعنون بالخطّ المعروف بالكتانسي وقد امتاز منهم الحلبيّون بحسن الكتابة · اما الخطّ السرياني فكان اللبنانيّون يهتمّون بهِ ويتّخذونهُ لتآليفهم المليّة وكتبهم الطقسيّة التي لم تنشر بالطبع قديمًا فكانوا يقضون ليلهم ونهارهم في نسخ الكتب المذكورة ويبيعونها باثمان حسنة · على ان العرب اجمالًا نبغوا في الخطّ وجعلوهُ في مقام فنّ التصوير ففاقوا غيرهم من الامم · فليتأمل طلبة المدارس في ايامنا

وطريقة الكتابة في المشرق تختلف عن طريقة الفرنجة فنحن نبدأ من اليمين الى الشمال ثم نكتب قاعدين متربّعين ونحمل الورق بين يدينا فحيثما وُجدنا يرافقنا المكتب (الطاولة) · ثم اننا نسرع في الكتابة جدًا ونُكثر من الحبر فنرسم احرفًا ضخمةً جافية فان خشنا عليها ان تطمس اذا قلبنا الورق اخذنا رملًا من مرملةٍ لنا وكبينا منهُ على الخطّ والافرنج يستعيضون عن الرملة « بالورق النشّاس » (papier buvard)

(طريقة التدريس) بعد حضور الذبيحة الالهيّة في الكنيسة يأتي الاولاد الى المدرسة فيدعو المعلم واحدًا فواحدًا ويقرأ امامهُ أُمثولتهُ مرّةً او مرّتين ويصرفهُ لكي يدرسها زمانًا ثمّ بعد حين يدعوهُ ليختبرهُ أتعلّم الولد درسهُ ام لا · اما تقسيم المدارس الى صفوفٍ متتالية فلا يعرفها الاساتذة عندنا فان كل ولد يدرس امثولتهُ وحدهُ لا رفيق لهُ فيها ولا شريك وقد يحدث ان تلميذًا يقفه في النهار عشر امثولات والمعلّم

١) قد اعتاد الاهلون كذلك ان يتحفوا الاستاذ بالهدايا اكرامًا ومودةً وخاصّةً في الاعياد والمواسم وتسمى هداياهم « اوانتز » عيديات وتكون مأكولًا او شرابًا او طرفةً من الطُرَف

يسمع لهُ قراءتها وغيره لا يتعلّم شيئاً امّا لكسلٍ منهُ وتوانٍ او لسوء ذهن وخمود قريحة

ثمَّ قبل الظهر الساعة العاشرة يأخذ الجميع بدرس التعليم المسيحيّ فالذين يحسنون القراءة يدرسون في الكتب ويحفظون على ظهر البال عقائد الدين واقوال الآباء القديسين الاطهار والذين لا يعرفون القراءة بعدُ يبرز لهم الاستاذ ولدًا من الفطنين البارعين يردّد امامهم الصلوات كلمةً كلمةً وهم يقولون معهُ الى ان ترسخ في ذهنهم ويتعلّموها

وقد اعتاد الاولاد في هذه الاقطار على الدرس بصوتٍ جهيرٍ خلافًا لما يصنع الافرنج الذين يدرسون صامتين فان دخلتَ مدرسة وسمعتَ جلبةً واختلاط اصواتٍ فتلك شارةٌ حسنة وامارة باهرة وان كان ثمَّ هدوء وسكينة فأطناب الكسل مضروبة واجنادهُ فائزة مظفَّرة

(طرائق التأديب) هذا وان الغلام في لبنان يرضع مع الحليب شرف النفس والأنفة ودماثة الاخلاق فضلًا عن احترام الدين والميل الى العبادة والصلوات ومرضاة الله فيحمل على الدرس والطاعة لو ذكّرتهُ ان تلك ارادة الله ورغبة معلمهِ العزيز ولكن لا يخال لاحدٍ ان الاستاذ يغفل عن القصاص فلا يتخذهُ لهُ سلاحًا بل ان قصاص المعلّم يُضرب فيهِ المثل ومن اقوالهم الشائعة: «راح العيد (الفصح) وفرحاته وجاء المعلّم وقتلاته». فالاستاذ يضرب المذنب بالقضيب ضربًا يوازي الجرم ولا ترى والدًا او والدةً تتشكّى من استاذٍ يضرب ولدها بل كثيرًا ما سمعنا القوم يقولون: هذا ابني «العظم لي واللحم لك» ادّبهُ وهذّبهُ وعلّمهُ وثقّف اودهُ واضربهُ ضربًا شديدًا اذا اساء الادب وخالف النظام.

ومن قصاصاتهم «الفَلَق» وما ادراك ما هو الفلق. عدّةُ الاستاذ وسلاحهُ يسبّل عليهِ كلَّ حَزنٍ وَعرٍ ويأمنهُ المُنية في الامر العسير نافي الكسل وموطّد اركان النظام يخافهُ الولد ولا خوف المجرم من الاكبال «نعوذ بربّ الفَلَق من الفلق شرَّ ما خلق». فان قيل: صِفهُ. قلنا: هو عودٌ يُربَط حبل من احدى طرفيهِ الى الآخر وتُجعل رجلا الجرم داخل ذلك الحبل فيُضرب عليهما ضربًا مبرّحًا وهذا القصاص انّما يُجازى بهِ مَن يهرب من المدرسة. يرسل المعلّم اولادًا فيأتون بهِ مرغمًا ثمَّ يُشدُّ برجليهِ الى الفلق ويصفعهُ عشر صفعات او عشرين وقد يجاوزها. فالمعلم اذن لا يقتصر على الذرائع الادبيّة ابتغاء لنجاح تلامذتهِ بل يلجأ مرارًا الى الضرب والقصاص غير انهُ يتحاشى ما استطاع مثل

هذا الدواء. فلا يجرّعهُ الّا الذين لا يعمل فيهم اللطف والحجّة والحماسة فيزول ذلك لفائدتهم ويكون ترويعاً لغيرهم اذا وسوس لهم شيطان الكسل

وما يدلّ على خوف التلامذة من القصاص غناء يتغنّونهُ يقول منهم قسم « يا معلّمنا جلّنا يأ نهرب كلّنا يا معلمنا حلّ الحلّة صارت الشمس على التلّة » فيجيب الباقون « يا معلمي ما احلكم والعصا تاكلكم » فالخوف من الاستاذ يضع في قلوب التلامذة اجلالًا لهُ واعتبارًا واكرامًا لا نهاية وراءها فتراهم يهابون غضبهُ ويخشون توبيخهُ ولو اسعدتهم السعادة فوصلوا الى أعلى المراتب وأسمى الوظائف حتى ان التلميذ ان رقي الى درجة الكهنوت الشريفة فلا يسمح لمعلّمه ان يقبّل يدهُ خلافًا لما يصنع غيره من الناس في بلادنا. ثمّ ان لقب المعلّم الذي يلقَّب بهِ الاستاذ هو عظيم جليل سام يُعطى للكهنة نوّاب المسيح فاللبناني يقول للكاهن «يا معلمي» كقول اليهود للمسيح لذكره المجد (يو ٣: ٥) «يا معلّم نحن نعلم انك اتيت من الله معلّماً»

أنهُ لبونٌ عظيم بيننا وبين قوم من بلادنا يزدرون بالاساتذة ازدراء وينعتونهم بصفات الاحتقار والمذمّة قائلين: فلان ابله كاستاذ. فلان ثقيل غليظ كانهُ الاستاذ فنعمَ ما قال احد الادباء جوابًا لشروى هؤلاء:

افضّل استاذي على نفس والدي وان نالني من والدي الجسم والاصلُ

(ادوات الكتابة) الدواة تكون الدواة عادةً من نحاس توضع على الحقو بها يمتاز الكتّاب والاساتذة وهي تتركّب من قناة مستديرة مثقوبة تخزن فيها الاقلام ومن وعاء للحبر وهو ما يُرى من الدواة الموضوعة في الزنّار وهذا الوعاء يُدعى «البقّة» من السريانيّة ܒܩܬܐ. وقد غلب معنى البقّة على وعاء من خزف يوضع فيه الحبر ويستعمل كالدواة الافرنجيّة فلا يُحمل

الحبر ليس عندهم حبر الّا الاسود ويدلّ على ذلك تشبيههم كلّ ذي لون اسود حالك بالحبر يقال: « اسود مثل الحبر » ويأخذونهُ من عشب ينبت في جوف الاودية او سفوح الجبال ويُعرف « بحشيشة الحبر » تأخذ النبت اخضر فتغليه بالماء ثم تضيف اليه قليلًا من العفص وتضعهُ بالشمس فيجمد هنةً سوداء ويزيدون عليه سكّرًا وصمغًا عربيًا ليصير لامعًا

الورق يأتينا الورق من اوربّة. غير انهُ كثيرًا ما يُجزأُ الى طلاحي مستطيلة صغيرة

العرض ثم يُدرج درجاً ويُلفّ حزماً مجوّفة وعلى هذا النمط ورق العوذات والحروز التي يكتبها المسلمون تكون قطعاً طويلة جداً اماً الكتابة على الورق المخيّز (papier rayé) فلم يألفها العرب

المرملة المرملة وعاء من نحاس او تنكٍ باعلاهُ ثُقب جمّة كأنهُ منخل يوضع فيها الرمل ويُكب على السطور التي لم يجفّ حبرها ويتأنق الكتبة بهذا الرمل فمنهم من يأخذ الرمل العادي ومنهم مَن يستعمل مادةً ناعمة كالرمل ذات ألوانٍ فمنها الاخضر والازرق والاحمر الى غير ذلك من الالوان الناضرة الزاهية

شرح بعض جمل تقال في المدارس واصحابها يقال: « فلان يعرف المزامير من اللوح للوح او من الجلد الى الجلد » اي يعرفهُ برمّتهِ لانّ الكتب قدماً كانت اوراقها تُشدّ الى بعضها اماً بلوحتين واماً بجلدٍ. ويقولون: « فلان قراءتهُ ناصحة » او « قراءته ضعيفة » اذا كان يحسن القراءة او يسيئها. و« فلان يفكّ الاسم » اذا كان يستطيع ان يقرأ مكتوباً « وفلان يعلّق الاسم » اذا كان لهُ بعض المامٍ بالخطّ. ويُقال للولد « روح على المعلم » اي اذهب الى المدرسة. ويُقال: « فلان معلّم حلبون » تهكّماً. والحلبون عندهم النابغ الجيد وما استعملت ألا في معرض الذم. يقول المعلم للتلميذ: « يا معلمي ادرس » والمعنى انت ايها الولد الحبيب الذي انا استاذه ادرس. هكذا الوالد يقول لولدهِ « يا ابي » والام لابنها « يا امي » الخ. وهذا من غريب التركيب. ويقولون: « فلان ذهنهُ مفتوح ومفتّح » اذا كان ثاقب الذهن متوقد القريحة وان كان قليل الذكاء يقال فيهِ: « ذهنهُ مُطلّس » و « هذا التلميذ يقرأ المحي » معناهُ ان لهُ الباع الطولى في الكتابة او هو نادرة داهية. ويُقال « لا يعرف الالف من العصا » او « الالف من المأذنة » للرجل العاميّ الذي لم يتعلّم العلم او الغرّ الجاهل

وما قلناهُ في المدارس اللبنانيّة لا يصحّ في كلّ انحاء لبنان واماً المدن فمدارسها الآن على غاية ما يرام من الترتيب والنظام فيدرّس فيها المعلّمون البارعون على طريقة جديدة اقتبسوها من المرسلين الاوربيّين. بل جرت هذه الاساليب الحديثة في كثير من قرى لبنان الكبرى جرياً على طريقة التعليم في المدن ولا جرم فانّ في هذا الترتيب الجديد فضلاً كبيراً على النمط القديم لما فيهِ من الفوائد لتهذيب عقل الاحداث واصلاح طباعهم

الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب لويس رترڤال اليسوعي (تابع لما سبق)

فنقول انهُ لاجل استنتاج معرفة واقع طول كل قياس ربع من الارباع وكل برج من الابراج في ذلك الطنبور المراد ربطهُ يلزم رسم مثلَّث قائم الزاوية كما تراهُ في الشكل الرابع بان ترسم طول احدى قائمتيهِ ما شئت ثم تقسم من الزاوية الى نصفها اربعة وعشرين قسماً متساوياً اولها قرار نيم حصار وثانيها قرار حصار وثالثها قرار تيك حصار ورابعها عشيران وهكذا على التوالي فيكون القسم الرابع والعشرون نوى. ثم تنصّف الثاني الى اربعة وعشرين قسماً فيكون القسم منها مثل نصف القسم من الاقسام الاولى وتسمّي القسم الاول نيم حصار والثاني حصارًا والثالث تيك حصار والرابع حسينيًا وهكذا على التوالي فيكون القسم الاخير منها رمل توتي الذي هو جواب النوى. فجميع الاقسام الاولى والثانية ثمانية واربعون قسماً اولها قرار نيم حصار وآخرها رمل توتي وذلك ديواناتن كاملان. ولا حاجة لذكر دواوين أُخرى من الجوابات لان العمل فيها متساوٍ لانك كلما نصّفت الباقي وقسمتهُ الى اربعة وعشرين قسماً يحصل منهُ ديوان جوابًا لما قبلهُ الى ما لا نهاية لهُ. ولم نتعرَّض هنا لذكر اليكَّاه لانهُ يخرج من مطلق الوتر ولا يلزم لهُ ربط دستان (١

١) والى هذا الموضع يرجع شكلٌ ورد في النسختين وقد سمَّاه صاحب الرسالة الشكل التاسع يوضح فيهِ بالارقام نسبة الارباع الى بعضها ويمكن ان نعتبرهُ توطئةً لما يوردهُ المؤلف في هذا الباب من البراهين الهندسيَّة والحسابيَّة

واما وجه اقامة هذا الجدول فبأن تقسم وترًا مهما كان طولهُ الى ٣٤٥٦ جزءًا متساويًا على افتراض ان صوت مطلق الوتر هو يكاه ثم تنصّف تلك الاجزاء فيكون نصفهُ ١٧٢٨ جزءًا اي النوى على ما مرَّ بيانهُ واليك عقيب ذلك ان تزيد على هذا العدد ٤٩ جزءًا ثم ٢+٤٩ اي ٥١ ثم ٢+٥١ اي ٥٣ ثم ٥٥ ثم ٥٧ الخ ٢٤ مرَّة حتى تبلغ ٣٤٥٦ وكلما أضفت احد هذه الاعداد ونقرت الوتر كان الصوت المسموع يسفل النغمة المتقدّمة ربعًا واحدًا. ويمكن ايضًا طرح اجزاء مبتدئًا من اليكاه او ٣٤٥٦ فتطرح اولاً ٩٥ ثم ٩٣ ... كما ترى في الشكل فتحصل حينئذٍ على الارباع المتصاعدة حتى النوى

الشكل التاسع

اجزاء			
١٠٤٨	من مطلق الوتر يكاه الى غمازة الدوكاه		
	اجزاء		
	٣٦٨	اجزاء برج العشيران	
		٩٥	قرار نيم حصار
		٩٣	قرار حصار
		٩١	قرار تيك حصار
		٨٩	عشيران
	٢٥٥	اجزاء برج العراق	
		٨٧	قرار نيم عجم
		٨٥	قرار عجم
		٨٣	عراق
	٢٣٧	اجزاء برج الرست	
		٨١	كوشت
		٧٩	تيك كوشت
		٧٧	رست
	٢٨٨	اجزاء برج الدوكاه	
		٧٥	نيم ذركلاه
		٧٣	ذركلاه
		٧١	تيك ذركلاه
		٦٩	دوكاه

اجزاء			
٥٨٠	من غمازة الدوكاه الى النوى جواب المطلق		
	اجزاء		
	١٩٥	اجزاء برج السيكاه	
		٦٧	نيم كردي
		٦٥	كردي
		٦٣	سيكاه
	١٧٧	اجزاء برج الجهاركاه	
		٦١	بوسليك
		٥٩	تيك بوسليك
		٥٧	جهاركاه
	٢٠٨	اجزاء برج النوى	
		٥٥	نيم حجاز وهو الربا.
		٥٣	حجاز
		٥١	تيك حجاز
		٤٩	نوى
١٧٢٨	اجمالي	الديوان الاول	
١٧٢٨	اجمالي	الديوان الثاني	
٣٤٥٦	اجمالي	فسحة العود او الطنبور	

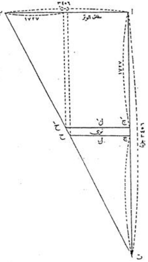
هذا ومما لا يخفى ان هذه الطريقة انما هي تقريبيّة قصد فيها المؤلف العدول عن الكسور ابتغاء التسهيل بيد انها لا تخلو من الصحة لانك ترى الاعداد فيها تتناقص على نسبةٍ متصلة هندسيّة او ما يقرب وهذا ما تقتضيهِ المسألة كما مرَّ. فرئنا من هذا الوجه مقابلة نتائج صاحب الرسالة بمخارج الفارابي عن ربع البعد الطنيني فقال في كتاب الموسيقى: ان نسبة ربع البعد الى الكلّ هي ٣٦/٣٥ فاحبينا ان نُعمل هذه النسبة في العدد المتخذ في رسالة مشاقة اي ٣٤٥٦ لاستخراج الربع الاول فكانت النتيجة حسنة لا تختلف عن مخرج مشاقة الّا بالنزر القليل ودونك وجه حسابنا:

٣٦/٣٥ × ٣٤٥٦ = ٣٣٦٠ للربع الاول وكان مخرج مشاقه ٣٣٦١ (اي ٩٥ – ٣٤٥٦).

ثمَّ ٣٦/٣٥ × ٣٣٦٠ = ٣٢٦٦,٦٦ للربع الثاني 〃 〃 〃 ٣٢٦٨ (اي ٩٣ – ٣٣٦١)

ثم ترسم القائمة الثانية بحيث طولها يكون جزءًا واحدًا من تسعة اجزاء من طول فسحة الطنبور المراد ربطهُ ثم تضع علامـةً على ثلاثة ارباع طولها ليكون جزءًا واحدًا من اثني عشر جزءًا من طول فسحة الطنبور وعلامةً ثانية على ربعها الاول من جهة الزاوية ليكون جزءًا واحدًا من ستَّة وثلاثين جزءًا من طول فسحة الطنبور وحينئذٍ تسحب

امَّا الحساب المدقَّق هو ان تضرب ٣٤٥٦ بالنسبة الصحيحة الشرعية وهي $\frac{1}{\sqrt[24]{2}}$ اي ٠,٩٧١٥٣٣٠ والنتيجة للربع الاول ٣٣٥٧,٦١٤٥٩٢٠ وهذه النتيجة مما يؤيد قولنا ان اعداد الشكل التاسع الواجب طرحها من ٣٤٥٦ تناول الارباع هي اعداد مقرَّبة لا كاملة الصحة فوددنا ان نتيقَّن حق اليقين ما هي بالتدقيق فافتحسنا حسابًا طويلًا مبنيًا على أصول الهندسة فنورده هنا لمن رغب الوقوف عليهِ والشكل



ا ب ت ج ح على ما مرَّ بك قبلًا اعني انهُ مثلَّث قائم الزاوية فلتقدم الخطَّين ا ت و ا ب الى ٣٤٥٦ جزءًا فمن د اذًا الى ب ١٧٢٧ جزءًا كما من ا الى ج فالخط ا ب هو مطلق الوتر اما من د الى ب هو الديوان الاول فترى انَّ في د يكون صوت النوى وانَّك كلَّما سحبت خطًا مثل لْ موازيًا ل ثم من طرفيهِ ح عمودًا واصلًا الى دْ يكون عدد الاجزاء المحبوسة بين ج و ج مساويًا للاجزاء التي بين د و د

ولملَّك الان تطلب بايّ وجه يمكنك تقسيم الخطّ ا ج الى ٢٤ قسمًا او ربمَّا تكون بين بعضها على نسبة هندسيَّة فالجواب انك تعلم ذلك اذا علمتَ كم هي اجزاء ا ج المتضمَّنة بين ربعٍ وربعٍ فلنفترض اذًا ان لْ هو الخطّ الدال على الربع الاول قبل النوى (والنوى خطّ ل) فالمطلوب ان نعرف عدد الاجزاء المحتوية بين ح و ج اي في ي وهذا سهل جدًا اذا اعتبرنا ان المثلَّثين ت ج

ثلاثة خطوط مستقيمة من رأس القائمة الاولى احدها ينتهي في رأس القائمة الثانية ويسمى خطَّ الابراج الكبرى وثانيها ينتهي عند ثلاثة ارباعها المعلَّم عليهِ ويسمَّى خطَّ الابراج الصغرى وثالثها ينتهي عند ربعها الاول ويسمى خط الارباع ثم ترجع الى اقسام الارباع الثمانية والاربعين المقسَّمة على القائمة الاولى فكل قسم منها يُقسم في وسطهِ خطاً عمودياً واصلًا الى خطِّ الارباع ويُسحب من جانبهِ خطَّان يلتقيان في رأس العمود عند خطّ الارباع فيصير مخروطاً قاعدتهُ جزء من القائمة الاولى ورأسهُ عند خط الارباع فكل مخروط من هذه المخروطات الثمانية والاربعين التي ترسمها يكون طول العمود القائم في وسطهِ هو طول قياس ذلك الربع المسمى باسمهِ في ذلك الطنبور الذي بنيتَ العمل على قياس طولهِ. ثم ان معرفة طول مقياس كل برج على حدتهِ لها طُرق كثيرة لا حاجة الى

ح و ث ج ح ح' هما شبيهَين فيسوغ لنا من ثم ان نكتب هذه المساواة :

$$\frac{ل}{ل'} = \frac{١٧٢٨}{١٧٢٨+ي} = \frac{١}{\sqrt[٢٤]{٢}}$$

(فبيَّنَّا آنفاً ان هذه النسبة الاخيرة هي نسبة الارباع بينها من حيث طول الوتر) فيخرج من ذلك

$١ ي = (١ - \sqrt[٢٤]{٢})$ ٥٠,٦٣٣ للربع الاول مبتدئاً من النوى

= ٥٠,٦٣٣ للربع الاول مبتدئاً من النوى

			اعداد مشاقة
$٢ ي = (١ - \sqrt[٢٤]{٢^٢})$ ١٧٢٨ = ١٠٢,٧٥٣٥	ويسقوط ٥٠,٦٣٣	= ٥٢,١٢٠	٥١ *
$٣ ي = (١ - \sqrt[٢٤]{٢^٣})$ ١٧٢٨ = ١٥٦,٣٩٦١	« ١٠٢,٧٥٣٥	= ٥٣,٦٤٣٦	٥٣
$٤ ي = (١ - \sqrt[٢٤]{٢^٤})$ ١٧٢٨ = ٢١١,٦١٤٣	« ١٥٦,٣٩٦١	= ٥٥,٢١٨٢	٥٥
$٥ ي = (١ - \sqrt[٢٤]{٢^٥})$ ١٧٢٨ = ٢٦٨,٤٤٨٣	« ٢١١,٦٢٤٣	= ٥٦,٧٣٤٠	٥٧
. . .	. . .	. . .	. . .
$١٢ ي = (١ - \sqrt[٢٤]{٢^{١٢}})$ ١٧٢٨ = ٧١٥,٧٦٠٣	« ٦٤٦,١٩٠٨	= ٦٩,٥٦٩٥	٧١
$١٣ ي = (١ - \sqrt[٢٤]{٢^{١٣}})$ ١٧٢٨ = ٧٨٨,٣٦٨٣	« ٧١٥,٧٦٠٣	= ٧٦,٦٠٨٠	٧٣

فوجدنا بوجه آخر ان طول الوتر للربع الثالث والعشرين هو ١٦٢٩,٦١٦ جزءًا والرابع والعشرون اذًا (او الاول اذا ابتدأنا من البكاه) ١٧٢٨ − ١٦٢٩,٦١٦ = ٩٨,٣٨٤ امَّا عدد مشاقة فهو ٩٥

فيظهر من ذلك ان الفروق ليست بكبيرة ويمكن من ثم اعتبار ديوان مشاقة المقسوم الى ٢٤ ربعاً ديواناً معتدلاً (gamme tempérée) فلا يخفى على احدٍ ان حلَّ هذه المسألة صحَّ ايضاً مراعاة العمودين د ح و د' ح' بتغيير ما وجب تغييره في المساواة

---

* (١٠٢,٧٥٣٥ هو عدد الاجزاء بين النوى والربع الثاني قبله)

ذكر جميعها بل نذكر لذلك طريقين الاول منهما هو ان مجموع طول الارباع الكائنة ضمن ذلك البرج هو عين طوله والثاني ان يؤخذ رسماً من الشكل بعينهِ مبتدئاً من برج العشيران فانهُ من الابراج الكبرى وضمنهُ اربعة ارباع اولها قرار نيم حصار وآخرها ربع العشيران فتقيم في وسطها ما بين ربعَي قرار الحصار وقرار تيك الحصار خطاً عمودياً واصلاً الى خط الابراج الكبرى المسحوب من رأس القائمة الواحدة الى رأس القائمة الاخرى وتسحب من جانبي الاربعة الارباع خطّين يلتقيان في رأس العمود عند خطّ الابراج الكبرى. وهكذا تفعل في برج العراق غير ان الخط العمودي الذي تقيمه في وسطهِ توصلهُ الى خطّ الابراج الصغرى لانهُ منها وليس ضمنهُ الّا ثلاثة ارباع ثم يجري العمل على هذه الصورة في جميع الابراج فالكبير منها تصل عمودهُ المتوسّط بخط الكبرى والصغير منها تصلهُ بخط الصغرى فيتمّ العمل برسم اربعة عشر مخروطاً هي الديوانان الاربعة عشر برجاً عدا البكاه فانهُ مطبق الوتر والاعمدة المنصوبة في كل مخروط طولها هو طول قياس ذلك البرج الذي هي ضمنهُ فتأخذ طول العمود بفتحة البيكار وعلى قدره تربط الدستان على عنق الطنبور

وقد رسمت لك الصورة المذكورة في الشكل الرابع مبنية على طنبور فسحتهُ ثمانية وعشرون قيراطاً وذلك لاجل زيادة الايضاح ثم انهُ قد تقدّم الشرح في الفصل الثاني من الباب الاول عن الفرق الكائن بين الابراج العربيّة والابراج اليونانيّة ولم نبيّن هل هذا بينهم حقيقي لنفس الابراج اي ان اليونان مثلاً يخفضون صوتهم في برج الجهاركاه عن العرب ام العرب يرفعون صوتهم فيهِ عن اليونان حتى يكون ناقصاً عن اليونان او زائداً عند العرب بالفعل ام ان مخرج صوت البرج عند الفريقين متساوٍ والاختلاف من خطأ احدهما في ما اعتمدهُ من تقسيم اجزاء الابراج اي الدقائق والارباع وهكذا بقية الابراج الواقع الاختلاف عليها . فالحقيقة ان الحكم في هذه القضية من المشكلات التي تقف عندها فحول الموسيقيّين اذ لم يكن عندهم بعض اصول هندسيّة . هذا والعرب لم يأتوا بدليل لاثبات رأيهم سوى قولهم ان الديوان يحتوي على اربعة وعشرين ربعاً مقسومة الى ابراج كبرى ضمن البرج منها اربعة ارباع والى ابراج صغرى ضمن البرج منها ثلاثة ارباع . اما اليونان فقالوا ان الديوان يحتوي على ثمان وستين دقيقة مقسومة الى

ابراج كبرى ضمن البرج منها اثنتا عشرة دقيقة (١ والى ابراج وسطى ضمن البرج منها تسع دقائق والى ابراج صغرى ضمن البرج منها سبع دقائق فهذا القول لا يقوم منهُ دليل كافٍ لمعرفة الحقيقة. ولاجل الوقوف على الصحيح من القوانين عمدتُ الى الطنبورَين وربطت احدهما بموجب رسم الشكل الرابع المتقدم بيانه وربطت الثاني مقسماً على اصطلاح اليونان وامتحنت عليهما مخارج صوت الابراج فعليًا مجريًا على كلٍّ منهما بعض الحان راسخة في الذهن والصوت من تقرير الملكة. فوجدت ان موقع مخرج الابراج عند الفريقين في رتبةٍ واحدة وان الخطأ انما هو تقسيم الارباع عند العرب وان الصحيح هو تقسيم اليونان. ولذلك رسمت الشكل الخامس وهو كالشكل الرابع ولا حاجة الى تكرار بيانهِ غير اني أوضح الفرق الكائن بينهما فقط وذلك اولًا ان القائمة الاولى يُقسم نصفها الى ثمان وستين دقيقة تتوزَّع على الابراج حسب ترتيب اليونان المشروح آنفاً. ثانيًا ان القائمة الثانية يكون طولها جزئين من سبعة عشر جزءًا من طول

---

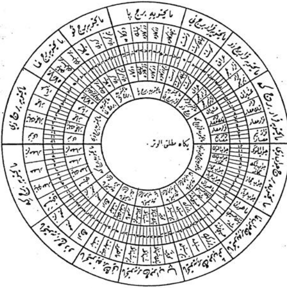
١) هذا كما قدَّمنا زعم المتأخرين من اليونان وقد اسهبنا الشرح عن الديوان واقسامهِ عند الاقدمين منهم وهو التقسيم المتبر الطائر الشهرة. اما التقسيم الى ٦٨ دقيقة فلا تكاد تعثر عليهِ في التآليف الثائمة في فنّ الموسيقى

واما ما قال صاحب هذه الرسالة عن صحَّة تقسيم الديوان العربي الى ٢٤ ربعاً وتفريعهِ الى ابراج كبيرة وصغيرة فانَّ فيهِ نظر ولمزيد الايضاح نقول: اولاً انهُ لا حقّ للمؤلف ان يسمي هذا التقسيم تقسيم العرب بلا شرح ولا توطئة اذ للاقدمين منهم كالفارابي وللمتوسّطين كالشيخ صفي الدين تقسيم غير ذلك التقسيم ومرجعهما اما الى ديوان اليونان او الى تفريع البعد بين القرار والجواب الى سبعة عشر جزءًا عدد نغمات العود (راجع مقدَّمتنا)

ثانيًا ان التقسيم الى ٢٥ ربعاً متساوية ساقطٌ في مبادئهِ لانهُ يخرج عن حدود العرب المألوفة بعض الاصوات والابعاد المستعملة في القرون السالفة فبكل صواب يعاتب العلَّامة ف. لَنْد (Ph. Land. *Recherecheś* ... p, 43) المحدثين من العرب على اختراعهم الابراج الصغيرة والكبيرة في التقسيم المذكور قال: « وبادخال هذا التقسيم المبتدَع تغيَّر الديوان العربي القديم وقد حتَّى انك لا يمكنك القطع هل برج العراق مثلًا موضوع ليحلّ محلّ وسطى الزلزل القديمة او ليسدّ مسدّ نغمة العراق من ديوان صفي الدين وكذلك للسيكاه وغيرهما » اه

ثالثًا ومع كلّ ذلك يجوز القول بان هذا الإحداث لا يخلو من بعض الفائدة واول ما نجتني من تأليف صاحب الرسالة تعزيز شان الموسيقى في البلاد الشرقية ثم ردّ هذه الصناعة الى فوائد واصول عقلية واخيرًا تليين بعض الحركات اللحنيَّة وتسهيل بعض الاعمال بتعديل الابعاد الموسيقية هذا فضلًا عن انهُ انعش في القلوب رغبة جميلة في مزاولة هذا الفنّ فنرجو لها نموًا وازديادًا

فسحة الطنبور وتقسم على اثني عشر قسماً فمن رأسها يُسحب خط الابراج الكبرى ومن تسعة اجزاء منها يُسحب خطّ الابراج الوسطى ومن سبعة اجزاء منها خطّ الابراج الصغرى ومن ثلاثة اجزاء منها خط الارباع العربية الكبرى ومن جزء واحدٍ منها خطّ الدقائق اليونانيّة. ثم ان الثلاثة الاجزاء من الزاوية الى خطّ الارباع تُقسم الى تسعة اجزاء فمن سبعةٍ منها يُسحب خطّ الارباع الصغرى لان الابراج الصغرى سبعة اقسام والعرب يقسمونها الى ثلاثة ارباع مثل الوسطى فوجب ان تكون ارباعها اصغر من ارباع الوسطى ونسبتها اليها نسبة سبعة اقسام الى تسعة ولبيان عدم صحّة تقسيم العرب قد رسمتُ دائرةً يونانيّة وعنونتها بالشكل السابع مثل الدائرة العربية المتقدّم الكلام عليها في الفصل السابع من الباب الاول والعمل بها كما يُعمل بتلك



ولنذكر طرفًا مما ذكرتهُ قدماء الموسيقيين من الالحان التي كانوا يعالجون المرضى بسماعها معتبرين موافقتها لأمزجة الناس وذلك ان الجهاركاه حارّ يابس مهيّج للدم والاوج والنوى باردان يابسان وعكسهما الحسيني والدوكاه فكلّ منهما حار رطب وكلّ من الرست والسيكاه بارد رطب (١ فيُختار منهما ما يوافق المزاج. والذي اراه في هذا المعنى انَّ الانسان ينتعش بسماع اللحن الذي يميل طبعهُ اليه وهذا الميل ليس من المزاج بل من تقرير العادة وربّما تقرّرت العادة من اول مسموعات الانسان عند ابتداء ادراكهِ او من ولوع حصل لهُ بسماعهِ تلحين بعض الاناشيد موافقًا لغرضٍ ما كان قائمًا في ذهنهِ فما زال يُردّد ذاك اللحن في مخيَّلتهِ حتى صار لا يهوى غيرهُ. ومن ذلك نشأ ما تعبّر عنهُ العامَّة ببيت النغم وهو انَّ كلّ منشدٍ لا بدَّ ان يكون لهُ ميل خاصّ الى بعض الالحان يحسن الانشاد فيهِ اكثر من غيرهِ واذا خلا بنفسهِ على غير قصدٍ يترنَّم بهِ دون غيرهِ فلا ينشد غيرَهُ الّا عن قصدٍ. والذي ينفي صحَّة ما ذكروهُ انَّنا نرى الناس يميلون الى استعمال الالحان المتداولة في بلادهم التي نشأُوا بها على سماعهم من غير اعتبار الموافقة المزاجيَّة (٢ لجواز ان يختلف مزاج احدهم عن الآخر والله اعلم بالصواب

---

١) وللاقدمين اقوال عجيبة في الموسيقى اما في تعريفها او في منافعها او في علاقتها بسائر العلوم قال هرمس (Hermes) ان الموسيقى معرفة ترتيب الامور في الطبيعة. وادَّعى بيثاغورس (Pythagore) ان كلَّ شيء في الدنيا هو موسيقى اي ترتيب وتنظيم. اما افلاطون فقد ذهب الى ان فنّ الالحان هو مبدأ العلوم البشريَّة العام. وكان يكرّر لتلاميذهِ قولهُ: بان «الآلهة انزلوا الالحان من السماء ليس فقط لتطرب الآذان بل لتتمّ النظام ما بين قوى النفس». واعتاد الاقدمون ان يبنوها على الطبائع الاربع فزعموا انها تصلح لترطيب اليبوسات وتعديل السوداء وترويق الدم. فروى الفارابي ان هذا العلم استُخرج من علم الهيئة والحكمة والطب وعلوم المنجّمين والطبيعيين وعليهِ تراهم يستخرجون المقامات من بروج الفلك كالرست مثلًا من الحمل والعراق من الثور والاصفهان من التوأمين الخ. . . فينسبونها الى كل من الحرارة او البرودة مع اليبوسة او الرطوبة موافقًا للطبائع الاربع

٢) هذا من الصواب لكنهُ قليل الفائدة لما نحن في البحث فيهِ ومرجعهُ ان الشرقيين مثلًا يميلون كلّ ميل الى الحان بلادهم فلا يستطرفون لاول سماع انغام الافرنج وبالعكس عند هؤلاء. اما ذلك فلا يكفي لبيان السبب الذي لاجلهِ يستحسن ابن الشرق هذا اللحن الوطني ويفضّلهُ على ذاك وهذا كما سبقنا متعلّق بالذوق الخاص والاحوال اما الذوق الخاص فهو يتولّد من الطباع والعوائد

تتمة في احكام أخر للالحان

قد علمتَ ما يتعلّق بهذه الصناعة من اعتبار الالحان بحسب الذات واعلم انهُ لا بدَّ من اعتبارٍ آخر لها بحسب الصنعة فان منها ما هو متقيِّد وهو ما الترم في اجزائهِ حركات دوريَّة اذا بلغ بها الى القرار عاد اليها بعينها وموضعهُ اللفظي ما الترم فيهِ بازاء تلك الحركات اجزاء موزونة من الكلام تدور دَور الحركات مطابقةً لها في اتفاقها واختلافها ويقال لهُ « اشغل » وهو قد يكون مرتجلًا في وضعه وقد يكون مأخوذًا من فنون الشعر كالموشّح والزجل وغيرها. فان وضع خاتمة لنوبتهِ قيل لهُ « اكرك » ومنها ما هو مطلق وهو ما يجري على حركات اختياريَّة لا يلزم شيء منها. واما موضوعهُ فقد يكون ملترمًا في نفسهِ اوزانًا دوريَّة كقطعة من الشعرِ وقد لا يكون ملترمًا كسورةٍ من القرآن. وكلاهما يجرى عليهِ اللحن بحسب الاختيار فيُحتمَل من اختلاف الالحان عليهِ قدر ما تحتمل صناعة المتصرف فيهِ لا يمتنع اجراؤهُ على جميع الالحان الموسيقيَّة. وربّما اخذ في اللحن ثم انتقل منهُ الى لحنٍ آخر لختنا تًا في العلم ثم عاد اليهِ عند القرار فان لم يعد كان عبثًا في الصناعة. والترنّم الموزون من ذلك يقال لهُ انشاد ولغيرهِ ترتيل واذا جرى اللحن على الآلة فان كان مقيَّدًا بحركاتٍ دوريَّة قيل لهُ بُشرَف والّا فهو تقسيم(١

ولا يخفى ان الغرض من هـذه الصناعة إحداث طَرَبٍ في النفس بسماع ما يوافق هواها. ولذلك كان بعض الالحان اطيب سماعًا عند بعض السامعين دون بعض كما يكون في الاطعمة والمناظر ونحوها. وهذه الموافقة لا تتم بالنسبة الى هوى النفس ما لم تتم بالنسبة الى اجزاء اللحن في انتساقها وسلامتها من التشويش وهذا انما يُطرد عند انفراد المغني بنفسهِ فاذا اشترك مع غيرهِ وقعت مظنَّة التشويش فوضعوا فنّ الاصول لصيانة هذه المشاركة عن تشويش السابق والمتأخر من المشتركين في الغناء حتى يكون مجموعهم كواحد (٢. ولمّا لم يكن لهُ دستور يُبنى عليهِ فوضعوا جزئين يتركّب احدهما

١) ومن اراد وصف نوبةٍ بتفصيلها فعليهِ ان يقف على ما سرد في ذلك سلڤادور دانيال (Salvador Daniel) المارّ ذكرهُ في تأليفهِ عن الموسيقى العربية (La Musique arabe c. II parag. II, p. 39) بيد ان لابناء الشرق لغنًى عن ذلك لما علَّمتهم المادة الوطنيَّة من هذا القبيل

٢) ولعلم الاصول او الايقاع فصولٌ مطوَّلة في كتاب الموسيقى للامام ابو نصر محمد الفارابي وفي رسالة الشيخ العالم صفي الدين البغدادي الّا ان بينهما شيء من الاختلاف في التعبير عن السبين الثقيل والخفيف فعند الفارابي يسمى الاول تَنْ والثاني تَ اما عند الشيخ صفي الدين

من حركة فسكون والآخر من حركتين فعبّروا عن الاول بقولهم « دُمْ » وعن الثاني بقولهم « تَكَ » جريًا على اصطلاح العروضيين في وضع السببين الخفيف والثقيل ومن ثم جمعُهما بقولهم « لَمْ أَرَ » مقتطفًا من قول العروضيين « لم أرَ على ظهر جبل سمكةً » وركَّبوا من هذين الجزئين جملًا في الاستعمال كتفاعيل العروض ووضعوا لكلّ جملة فيها اسمًا يميّزها عمَّا سواها يتركبونهُ من دُمْ وتَكَ نحو: دُمْ تَكَ تَكَ دُمْ مكرَّرة بعينها الى النهاية كما يتركَّب بيت الشعر من التفاعيل المكرَّرة تسميةً لما يُميِّز بحرهُ عن غيرهِ كالطويل والبسيط ونحوهما. غير انهم نظروا هيئة اجزاء اللحن عند اجزائه فقابلوها بما يوافقها من الاصول كالربع والخمس والشبز وغير ذلك قصداً للمطابقة بين الحركات من الطرفين. فاذا اراد احدهم ان ينشئ تلحيناً لموشحٍ او غيرهِ ربطهُ على اللحن الذي يختاره ثم جعل حركاتهِ ضابطًا ممَّا يوافقهُ من الاصول. واما اختراع هذا الانشاء فهو ملكة طبيعيَّة لا يُتوصَّل اليها الّا بالاجتهاد كملكة النظم عند الشعراء. فالله علَّم الناس بفضلهِ وخصَّ بمواهبهِ من يشاء.

قال مؤلفهُ الفقير اليهِ تعالى ميخائيل بن جرجس مشاقة اللبناني هذا ما انتهت اليهِ معرفتي القاصرة وانا ارجو من مطالعيهِ غضَّ الطرف عمَّا فيهِ من ضعف العبارة واصلاح ما فيهِ من الخلَل فجلَّ من لا عيب فيهِ وعلا (تمت الرسالة)

فالسبب الثقيل هو عبارة عن تَنَ والخفيف معبّر عنهُ بلفظة تَنْ وليس تحت ذلك الخلاف كبير امرٍ اذ النسبة هي متساوية في كلي التعبيرين. ثم ترى الفارابي يتّخذ مبدأً او اصلًا للايقاع وهو عبارة عن تن تن تن تن ويقول ان هذا المبدأ يتضمّن بالقوة جميع اصناف الايقاعات ثم يأتي الى ذكر ما هو اكثر استعمالاً من هذه الاصناف وهو سبعة اصناف الهزَج وخفيف الرمل وثقيل الرمل او الرمل والثقيل الثاني وخفيف الثقيل الثاني اي الماخورى والثقيل الاول وخفيف الثقيل الاول (Kosegarten : *Liber Cantilenarum*). فروى صفي الدين ان للعجم اصناف وادوار كثيرة من الايقاع يجهلها العرب فاهمّها ما يسمونهُ الفاختي: هذا الى غير ذلك من التفاصيل يجدها من يشأ في المجلّة الاسيويّة الافرنسيّة سنة ١٨٩١ (Journal Asiatique, 1891, Baron Carra de Vaux. Le Traité des Rapports musicaux ... par Safi-ed-din) فروى العلّامة برّون (Docteur Perron) ان اول من اخذ عصاً بيدهِ واشار بها الى الوزن والايقاع هو ابرهيم ابن ماهان الموصلي عن فحول المغنين في زمن المهدي والرشيد. ومن المستغرب في الايقاع ان اصول الالحان تختلف احيانًا عن اصول آلات النقر كالدف والطبل فربَّما كانت أُصول اللحن على وزن ٣ + ٣ فنُقرت الآلات على وزن ٤ + ٢ او ٢ + ٢ + ٢ فصارت ايضًا اوزان النغم مقسومة الى ٨ اجزاء متساوية وكان النقر على ٢ + ٣ + ٣ الى غير ذلك مما رواه س. دانيال عن الالحان العربيّة (S. Daniel. *ouvr. cit.* p. 97, 98)

الفونوغراف او آلة النطق

للاب موريس كولنجت اليسوعي مدرّس الطبيعيات في مكتبنا الطبي

كان السوريون في السنين الماضية يسمعون باخبار الاكتشافات العاميَّة فيعدُّونها كاضغاث احلام لا يمكنهم الوقوف عليها او الانتفاع باسرارها. فلمَّا زادت المعاملات والحركة التجاريَّة بين الشرق والغرب ودخل اهل سوريَّة حواضر اوربة واميركة وجدوا انَّ لهذه الاختراعات حقيقةً وانَّ الغربيين يتَّخذونها لصوالحهم اليوميَّة ومنافعهم الجمَّة وفهموا حينئذٍ ما وراء ذلك من العوائد لوطنهم. ولمَّا قفلوا راجعين الى الديار جلبوا من هذه الادوات ما رأوا فيهِ اكثر جدوى لشؤونهم ونفعاً لترويج اعمالهم

ومن جملة هذه الادوات التي كانت قبل عشر سنين تُعدُّ من الاختراعات النادرة في اقطارنا لا يكاد يُرى من امثالها في غير المدارس الكبرى الفونوغرافُ. وها هوذا اليوم قد تعدَّى حدود بلادنا وانتشر في ظهرانينا بل يُباع في اسواقنا ويُسمع صوتهُ في نوادي الخاصَّة

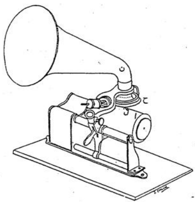
وقد رغب بعض قرَّائنا الكرام ان نبيّن لهم في مقالة موجزة تركيب هذه الآلة العجيبة وما يترتَّب على استعمالها من الفوائد

١ وصف الفونوغراف ومخترعهُ وتركيبهُ

الفونوغراف لفظة مركَّبة من كلمتين يونانيَّتين (φωνή صوت و γράφειν كتب) معناها اداة « رسم الصوت ». ويُقال لهُ « غرافوفون » بقلب اللفظتين السابقتين و « غرامُوفون » بالمعنى ذاته. فيؤخذ من اشتقاق اسمهِ أنهُ آلة تُرسم فيها الاصوات على اختلافها فتتمكَّن من تكريرها بعد تدوينها

ومخترع هذه الآلة كما هو شائع اليوم في كتب الطبيعيَّات أنَّما هو الاميركي أديسون الشهير باكتشافاتهِ الكهربائيَّة. غير انَّ الفرنسيين اثبتوا ان الفضل في هذا الاكتشاف البديع لاحد علمائهم يدعى شرل كروس (Ch. Cros) اخترعهُ بضعة شهور قبل اديسون وقدَّم قراراً اثبت فيهِ حقيقة اكتشافهِ للجمعيَّة الباريسيَّة العلميَّة في ٣٠ نيسان سنة ١٨٧٧. وفي ١٠ تشرين الاول من تلك السنة نشرت مجلة الاكليروس الاسبوعيَّة (La Semaine du Clergé) خبر هذا الاكتشاف مع وصف الفونوغراف

وكان مكتشفهُ الفرنسيّ دعاهُ باسم آخر وهو « باليوفون » اي اداة حفظ « الصوت السابق » . امَّا اديسون الاميركيّ فانهُ لم ينشر خبر اكتشافهِ قبل ١٥ كانون الثاني سنة ١٨٧٨ . بيد ان هذين العالمين الجهبذين المنوَّه بذكرهما اتَّصلا الى هذا الاختراع دون تواطؤ بدروسهما الخاصَّة . ومن عجيب الاتفاق انهما استندا في ايجاد الفونوغراف الى المبادئ ذاتها ووضعاها على طريقة متشابهة



صورة الفونوغراف

والفونوغراف في ادواتهِ الاصليَّة عبارة عن اسطوانة (ا) من الشمع تدور على محور ذي لولب (بُرغي) ويمسّ هذه الاسطوانة نترٌ من حجر اللازورد (Saphir) كرأس قلم (ل) يضغطها ضغطاً خفيفاً ليّناً . ونترُ اللازورد المذكور لاصق بحاجز (ح) رقيق من البلَّور وهو ثابت في مكانهِ . ويتَّصل بالحاجز انبوبة (ن) تتلقَّى الصوت الخارجيّ الذي يُراد رسمهُ على الاسطوانة

فاذا شرع المتكلّم بالكلام تُدار الاسطوانة على محورها اللولبي ويُلقى الصوت امام الانبوبة . فللحال يهتزّ الحاجز لتموُّج الهواء ويُضغط رأسُ اللازورد الملتصق بالحاجز

الاسطوانة ضغطاً بليغاً او ضعيفاً او متوسطاً على حسب اشتداد الصوت او خفته فتدوّن فيها كلّ نبرات الصوت من كلام او غناء او انغام موسيقية وهلمّ جرّا. وعند انتهاء المتكلم من كلامهِ او المغني من غنائهِ تُعاد الاسطوانة الى مكانها الاول حول اللولب

فاذا اراد السامع ان يسمع الصوت المُثبَت على الاسطوانة يُبدل اللازورد الناتئ بقطعة اخرى منهُ لا نتوّ لها ثم تُدار الاسطوانة كالمرة الاولى فالآلة تُعيد الاصوات كما رُقمت فيها لا تختلف عن الصوت الاصلي ذرةً. والسبب في ذلك انَّ الفروض التي طُبعت في الشمع اذا جرت ثانيةً امام اللازورد هزّتهُ وهزَّ اللازورد الحاجز فيخرج من الانبوبة صوت شبيه بالصوت المسموع سابقاً وذلك مراراً عديدة كما يشاء صاحب الآلة. والانبوب الذي منهُ يُسمع الصوت يكون كتربيج النارجيلة يلصقهُ السامع باذنهِ فيميز الصوت الاصلي (راجع الشكل الثاني). وربما كان الانبوب على هيئة قمع او بوق يخرج الصوت منه مجهوراً يسمعهُ جمهور كبير (انظر الشكل الثالث). وهم يدعونهُ لذلك بوقاً (pavillon) او مُجهِر الصوت (amplificateur)





الشكل ٢. انبوب الفونوغراف

الشكل ٣. بوق الفونوغراف

اما دوران الاسطوانة فيكون على سرعة معلومة منظمة ويحركها تولياً زنبرك كزنبرك الساعة او يديرها محرك كهربائي. والبعض يتخذون بدلاً من اسطوانة الشمع اطاراً من المطاط (الكاوتشوك) لمرونته

٣ منافع الفونوغراف

الفونوغراف من آلات الملاهي التي يأنس الخاصة باستماعها. وكان يُسمع لهُ سابقاً خنّة كريهة السمع بيد انَّ ارباب الصناعة لم يزالوا يُعنون باصلاحهِ وتحسين ادواتهِ حتى اصبحت ترسم الصوت وتمثّلهُ تاماً كانهُ الصوت الاصلي هو هو

ومن منافعه انهُ يتلقى الاصوات الحسنة والنغمات الرخيمة والاغاني الشجية والخطب البليغة ومعازف الآلات في احدى المواصم الكبرى كباريس وبرلين فينقلها الى اماكن شاسعة ويردّدها على مسامع القوم فيطربون بها طربهم باستماعها في محلّ صدورها. وقد اخبرت الجرائد انَّ الاميركيين طلبوا الى الحبر الاعظم ان يُلقي على فونوغراف خطبةً يفتتح بها معرض شيكاغو الاخير فقبل ثمَّ نُقل الفونوغراف الى الردهة الكبرى التي فيها اقام رئيس الولايات المتحدة حفلة افتتاح ذلك المعرض فكان اوَّل ما سمعه الجمهور خطبة قداسة البابا فتلقَّوا كلامهُ باصوات الاستحسان وقابلوهُ بتصفيق الايدي

ومن منافع الفونوغراف انهُ يحفظ صوت الاحباب ممَّن نشبت بهم يد المنيَّة فيردّد صوت الوالدين على مسامع الابناء بعد سنين عديدة يتذكَّرون كلامهم ويتشمَّون بذكرهم. وينفع ايضاً لتلقين الاحداث اصوات الهجاء بدلاً من المعلم او بغيته

وقد اخذ التجَّار يستعملون الفونوغراف لقضاء اغراضهم. فمنهم من يرتزق بهذه الآلات ويدعو الجمهور الى ليالي ساهرة يقضونها باستماع الالحان المطربة. ومنهم من يجعل في باب مخزنهِ فونغرافاً يعلم المارّين بما يبيعهُ صاحبُ المكان فيكثر بذلك عدد المشترين. وبعض الاميركان والانكليز يضعون الفونوغراف على طريق السابلة فان اراد احد ان يسمع صوتهُ ادخل في ثقب قطعةً من الدراهم تحرّك من ساعتها اسطوانةَ الفونوغراف فيُسمع لهُ نغمات او كلام هزلي مضحك يبتهج بسمعه ناقدُ الدراهم

ومن فوائد الفونوغراف انَّ اصحاب الامر ونظراء الدواوين وغيرهم اذا ما ارادوا تبليغ نيَّاتهم الى عمّالهم ألقوها على الفونوغراف صباحاً ثمَّ يذهبون الى اشغالهم مطمئنين فاذا اتى العمَّال انصتوا الى صوت الفونوغراف واتوا الاوامر. وربُما أملى عليهم الفونوغراف رسالةً من ادبائهم ينسخونها ليوجهوها الى حيث يريد رؤساؤهم

ومن الاختراعات اللطيفة التي سبق اليها بعض مجهزي الساعات في سويسرة انهُ عمد الى فونوغراف فركّبهُ في جسم ساعة تركيباً بديعاً ولقَّنهُ اسماء الساعات وما يتعلق بها فاذا حان الوقت سُمع للساعة صوت يفيد صاحبها الاوقات او ينبّههُ من رقدتهِ وينبهُهُ على اعماله الى غير ذلك من الافادات

٣ الميكرفونوغراف

ومن الاكتشافات الحديثة المستندة الى مبادئ الفونوغراف آلة اخرى تدعى

الميكروفونوغراف اي فونوغراف الاصوات الخفيفة . والغاية منهُ تقوية الصوت فهو للسمع بمثابة المجهر المكبّر لصور المرئيات

امَّا طريقة تركيبهِ فبأن يؤخذ الفونوغراف مع اسطوانتهِ (ا) وحاجزهِ (ل) كما وصفناهُ سابقًا لكنَّ الصوت الخارج من الحاجز لا ينتشر في انبوب او بوق بل يتَّصل بآلة الميكروفون التي يجري اليها مجرى الكهرباء من بطاريَّة (ب) فاذا مرَّ بها صار الصوت عظيمًا ذا قوَّة شديدة لا يُطاق استماعهُ لشدَّتهِ لولا تلطيفهُ وتخفيفهُ . وهذا الصوت يمكن نقلهُ الى مسافات بعيدة بواسطة التليفون (ت)



الشكل ٤٠. الميكروفونوغراف

وفي استعمال هذه الآلة فائدتان عظيمتان الاولى طبيَّة فانَّ الميكروفونوغراف من احسن الوسائل لتبليغ الصوت الى آذان الصمّ البكم بل الى شفائهم تمامًا فان صوت الميكروفونوغراف ينبّه فيهم حاسَّة السمع بعد ان كانت مخدَّرة ليس مفقودة تمامًا . واطبَّاء الآذان يبنون آمالهم على هذه الآلة لشفاء هؤلاء المنكوبين وقد زعم بعضهم انهُ سيُشفى بها ٩٧ اطرش في المئة بعد ارتياضات متوالية . وبما انَّ البَكَم في كثيرين من الطرش ناتج عن صممهم فسوف يبرأون من العاهتين معًا . وقد ادَّت الامتحانات الجارية في السنة المتصرمة الى احسن النتائج . فانَّ الدكتور دوسُّو (Dussaud) مخترع هذه الآلة اختبرها اوَّلًا في ولد اطرش ابكم منذ ولادتهِ فاخذ فيهِ الفرح كل مأخذ لمَّا سمع لاول مرَّة صوت البشر واصوات الطبيعة

امَّا الفائدة الأُخرى فهي نقل الاصوات الى البلاد النازحة وذلك بواسطة اسلاك التليفون المتَّصلة بالفونوغراف . وعليهِ فيمكن ان يُسمع في دمشق صوت المتكلّم في بيروت ويُحرَّر صوتهُ هناك فيُحفظ في الفونوغراف . كما انهُ يمكن البيروتي ان يسمع فونوغرافًا يردّد الصوت في دمشق . ولا شكَّ انَّ المعرض الباريسي في العام المقبل سيأتينا بالعجائب بهذا الخصوص ويفيدنا امورًا غريبة لم تدر من ذي قبل على خلد احد . ولله الشكر عمَّا صنع فابدع

اليهود في فلسطين ومستعمراتهم

للاب هنري لامنس اليسوعي

اتتنا الاعداد الاخيرة من جرائد الاستانة العليَّة وفيها كلام مُسهب عن اليهود وانتشارهم في فلسطين. وربَّما استلفت اصحاب هذه المقالات انظار ذوي الامر الى استدراك ما يعدُّونهُ مخالفًا لنظام الدولة ويؤيدون قولهم بذكر الاوامر الشريفة التي كرَّرتها مرارًا الحضرة السلطانيَّة في هذا الشان. فكان ذلك داعيًا لنا الى البحث في المستعمرات اليهوديَّة في فلسطين لنفيد القرّاء عن عددها وشيء من احوالها مستندين في ذلك الى تقارير اعلنها اليهود في مجلَّاتهم ونقلتها عنهم مجلة الجمعيَّة الفلسطينيَّة (١). وقد تحقَّقنا بنفسنا صحَّة بعض هذه الاعلامات في سفرة باشرناها في تلك النواحي

المستعمرات اليهوديَّة في فلسطين خمسٌ تشتمل على عدَّة محالّ وهي: مستعمرة يافا وضواحيها. ثم مستعمرة القدس الشريف. ثمَّ صفد وبلاد بشارة. ثم حيفا وتوابعها واخيرًا مستعمرة الحوران وعبر الاردن

١ يافا وضواحيها

انشأت الجمعية الروسيَّة المدعوَّة «مساعدة الفلاحين والصنَّاع اليهود في فلسطين والشام» لجنةً في يافا سنة ١٨٩١ ولَّت تدبيرها المهندس زيب تيومكين وغاية هذه اللجنة ان تنظر في امور المهاجرين الاسرائيليين وتساعدهم ادبيًّا وماديًّا في ابتياع اراضٍ واسعة يقوم بتثميرها الافراد او الجماعات منهم

والجمعيَّة الروسيَّة المذكورة ليست سوى فرع من جمعيَّة اخرى يهوديَّة ممتدَّة في بلاد كثيرة تُدعى «احباء صهيون» (חובבי ציון) واعضاء هذه الجمعيَّة ينقدون في اوقات معلومة شيئًا من الدراهم ثمَّ يقترعون على السفر الى فلسطين فمن خرج اسمهُ دفعت لهُ الجمعيَّة حقَّ السفر وعيَّنت لهُ ارضًا يفلحها في الاراضي المقدَّسة. وعدد اليهود اليوم في يافا ينيف على ٦٠٠٠ لهم محلَّة واسعة يدعونها المنشيَّة

وفي شماليّ شرقي يافا على طريق نابلس ترى مقامًا يدعى «نوه صدق» נוה צדק فيهِ نيف وعشرون بيتًا قد ابتنتهُ جمعيَّة اخرى لليهود وهذه المنازل يدفع السكَّان حقَّها باقساط سنويَّة متهاودة. وهناك بستان واسع يخصُّ ورثة صاحب المصرف الشهير

(١) راجع Z. D. P. V., XVI, 192-201 et XVIII, 190

في لندرة السير موسى منتيفيوري استأجرهُ بعض يهود القدس

وفي ضواحي يافا مستعمرات اخرى هذه اسماؤها:

١ً منزل اسرائيل (מקוה ישראל) موقعهُ على مقربة من يافـا بقرب طريق العربات المؤدّي الى القدس. وهو عبارة عن حديقة واسعة الارجاء كثيرة الاشجار وافرة الغلّات تبلغ سعتها نحو ٢٤٠ هكتارًا وقد جعلهـا منشئا شرل نِتّر (Ch. Netter) سنة ١٨٧٠ لمكتب زراعي يتخرَّج فيهِ زهاء ستين شابًّا من اليهود على الفنون الزراعيَّة

٢ً عيون قارة وفي العبرانيَّة رؤوس صهيون (ראשון לציון) على مسافة سبعة كيلومترات من قرية يازور على طريق غزَّة وهي مستعمرة يهوديَّة باشر بها سنة ١٨٨٢ ستَّة اسرائيليين من الروس ثم دخلت في حمى البـارون ادمند دي روتشيلد. وهناك مزدرعات واسعة تمتدُّ في مسافة ٥٩٤ هكتارًا وممَّا غُرس فيها اشجار اللوز والتوت والخروع وفي كرومها ما يقارب ٨٠٠,٠٠٠ جفنة اجتنى منها اصحابها في سنة ١٨٩٠ نحو ١٥٥,٠٠٠ كيلو عنبًا. وبيوت هذه المستعمرة خمسون بيتًا ولهـا كنيسٌ للصلاة ومستوصف ومدرسة وكلارات واسعة وعدد سكَّانها نحو ٢٧٠. وكان اصحاب هذه المستعمرة مصمّمين النيَّة على فتح معامل جديدة للحرير والزجاج واستقطار الورد لكنَّنا لا نعلم أخرج ذلك الى عالم الكيان او بقي في حيز الآمال. وهذه المستعمرة على ساقٍ من النجاح نالت ما لم تنلهُ غيرها من العمران. وخمرها بعض الشهرة يتاجرون بهِ في البلاد واكثر غلّات هذه المستعمرة يبتاعها عمَّة روتشيلد وهو قد جعل لكثير من المستعمرين راتبًا شهريًّا

٣ً مُلك راوبين (נחלת ראובן) وهو وادي حنين في جنوبي المستعمرة السابقة على مسافة نصف ساعة منها مساحتها ١٣٥ هكتارًا. والفضل في انشاء هذه المزرعة لربَّاني اسمهُ راوبين كان حاخامًا في خرشنة (Cherson) وهي تحت نظارة لجنة يافا الروسيَّة. واهلها اثنا عشر عائلة يُعنون بغرس الكروم والاشجار المثمرة وتعسيل النحل وتحت ادارتهم كثيرون من الفلّاحين الوطنيين يكلّفونهم باتعاب الحراثة والاشغال الشاقَّة ويكتفون بنظارة الاعمال

٤ً خربة ديران وفي العبرانيَّة السهول (רחובות) بقرب بلدة رملة وهي مستعمرة أحدثتها جمعيَّة اعيان اليهود الروسيين سنة ١٨٩٠ وهي عبارة عن ارض فسيحة لا تقلّ

عن ٩٥٠ هكتاراً مقسمة الى ٦٥ قسماً كافية لمعاش ٦٥ عائلة وقد غُرِس في هذا المكان ١٧٠٠٠٠ جفنة و ١٠٠٠ فصيلة من التوت. لكن اليهود لا يحبون سكنى هذا المكان وحراثته والعيال الساكنة فيه الى الآن تبلغ العشرين

٥ً محلّة عاقر (ويقال عكرون) وهم يدعونها تذكار بيت الله (מזכרת בתיה) جنوبي غربي الرملة بقرب يَبنية. وهي ايضاً من مشروعات البارون روتشيلد في سنة ١٨٨٣ مساحتها ٧٠٠ هكتار يستثمرها ١٥٠ يهودياً. ولهذه المستعمرة كنيس ومدرسة كميون قاره

وقد مررنا في هذا المكان منذ سنتين فوجدناه عامراً زاهياً بضروب الاشجار المثمرة وكانت رباه مُتَّشحة بثوب اخضر من المزدرعات تمتدّ فيها سروغ الكرم النضرة لكننا لم نشاهد شيئاً من الحبوب كالقمح والذُّرة مع احتياج الفلاحين الى هذه الغلات والسبب أنَّ اليهود لا يجدون في الحبوب الارباح التي يقصدونها فيهملون زراعتها. ومما ادهلنا في رحلتنا هذه أننا لم نرَ في الكروم والحقول غير فلاحين بلديين اجرهم اصحاب الملك بأثمان بخسة. وبيوت هذه المستعمرة اذا شاهدها المسافر من بعيد حسنة المنظر مسقَّفة بالآجر الاحمر وجدرانها مبيَّضة بالملاط. ولمّا اقتربنا منها وجدناها قذرة متداعية البنيان مع انها حديثة البناء

٦ً قطرا (גדרה) من منشآت جميَّة «احبَّاء صهيون» بدأت سنة ١٨٨٤. موقعها على بعد ساعة من عكرون المذكورة. وكانت الغاية من انشائها إعانة بعض الدارسين الروسيين المهاجرين من روسيَّة حُتم عليهم ان يجرّدوا انفسهم للفلاحة. وليس فيها الآن الّا عشرة بيوت يسكنها نحو تسعين نفساً من الطلبة المذكورين وهم اليوم يأملون تملّك هذه الاراضي واستثمارها على حسابهم الخاص. ومساحة هذه المزرعة ٢٨٠ هكتاراً وهي تصلح للحبوب وعدد دواليها ٨٠٠٠٠

٧ً قسطينة وتعرف ببئر طوبيا تُعَدّ ايضاً من مستعمرات اليهود تبعد ساعة ونصف ساعة عن قطرا انشأها روتشيلد سنة ١٨٨٨ وخصَّصها بيهود بساّرابيا واليوم يشتغل فيها عشرون فاعلاً كعَمَلة لهذا الصرّاف الكبير الثروة وسعة هذه الارض ٦٣٠ هكتاراً

٨ً ام لبس (ملبس) وفي اصطلاح اليهود «فتح تقوه» (פתח תקוה)

على طريق يافا الى نابلس شمالي شرقي يافا ترلها يهود القدس منذ سنة ١٨٧٨ فلم يستحسنوا هواءها. ثمَّ عاد المهاجرون الروس سنة ١٨٨٢ فاستوطنوها تحت نظارة جمعيَّة « احبا. صهيون » وهي ارض مساحتها ١٣٠٠ هكتاراً لرتشيلد منها ٥٠٠ هكتار يستثمرها ٩٤ عائلة اي نحو ٤٠٠ نفس وهي مقسَّمة بينهم الى ١٣٣ قسماً وقد غُرس فيها مئتا الف غرسة كرم. وكان قسمٌ من يهود ملبس سكنوا ضيعةً تدعى يهوديَّة تبعد عنها ثمانية كيلومترات الّا انها لم تنجح

واليهود في لدّ أرحية ومعمل لتصفية الزيت

٣ القدس الشريف وضواحيه

كان اليهود قبل بضع ثلاثين سنة يسكنون داخل اسوار المدينة المقدَّسة فلم يزل يتوارد عليهم المهاجرون ويزدادون سنةً فسنةً حتى اضطرَّهم الامر ان يبتنوا لهم منازل خارج البلدة فسكنوا في أحياء تولَّت بناءها جمعيَّات مختلفة وجعلتها في شمالي البلدة وغربيها وصارت هذه المحالّ متلاصقةً فتراها اشبه بمدينة كبرى تمتدُّ في ظهراني القدس بين باب العمود وباب الخليل

ثمَّ بنى المثري الشهير مونتيفيوري عند باب صهيون وبركة السلطان مستعمرةً كبرى قسمها بين اليهود المهاجرين من شمالي اوربة المعروفين بالاشكنازيم ويهود جنوبيّ اوربَّة من الاسبان والبرتغاليين المسمَّين سفارديم فاسكن الاولين في شمالي المستعمرة الجديدة ودعاهم « بيت ناتان » وانزل الآخرين في الجنوبيَّة ودعاهم « يمين موسى » وبيوت هذه المستعمرة يستأجرها اولًا اصحابها ولا يزالون سنويًّا يدفعون مبلغاً معلوماً حتى تصير بعد بضعة اعوام ملكهم الخاصّ

ولمستعمرات القدس احياء عديدة يبلغ الحيّ من ٣٠٠ الى ٤٠٠ بيت ولكلّها اسماء عبرانيَّة تميّزها واقدم هذه الاحياء يدعى « محة شبع » اي ملك السبعة أُنشئ سنة ١٨٦٩ ثمَّ « إبن يعقوب » اي صخرة يعقوب سنة ١٨٧٠ ثمَّ « مساكن اسرائيل » قرب ميتم الالمانيَّات غربي المدينة ١٨٧٦ ثمَّ « مزكرة موشي » اي ذكر موسى سنة ١٨٨٠ . ثمَّ « أُهيل موشي » اي خيمة موسى سنة ١٨٨٣ . ثمَّ « سكُّوت شلوم » اي مساكن السلام سنة ١٨٨٧ . ثمَّ بيت يهوذا سنة ١٨٨٨ . ثمَّ « شعر فنا » اي حجر

الزاوية. ثمَّ « بيوت تيمن » سنة ١٨٩٠ لليهود المهاجرين من اليمن كانوا تقاطروا الى القدس ظنًّا منهم ان مسيحهم ظهر ليشيد ملك اسرائيل. ثمَّ « شمعون الصديق » سنة ١٨٩١. وليهود بخارى محطَّتان تدعى احداها « بيوت بخارى » والاخرى « أُهل شالومو » اي خيام سليمان. هذا الى منازل اخرى كثيرة تحدق بالقدس كالسوار بالزند. امَّا عدد اليهود الساكنين في القدس وضواحيها فبين اربعين الفًا الى خمسين الفًا. واكثرهم يرتزقون بالصنائع والمتاجرة بالاشغال التتويَّة كالسائح والصور لكنَّهم يفضّلون الصرافة على ما سواها. واذا رأيت الدراهم في يد اليهودي قل « أعطيت القوس باريها »

٣ صفد وبلاد بشارة

صفد احدى المدن الاربع المقدَّسة عند اليهود وهي: اورشليم والخليل (حبرون) وصفد وطبريَّة. وعددهم في صفد يربي على ثلاثة عشر الفًا لا يتجاوزها في ذلك غير القدس الشريف. وقد انشئت فيها سنة ١٨٩١ جميَّة تدعى « مجليليم » اي الجليليين تسعى في اقتناء الارزاق ليتملكها اليهود

وان سرت نحو ميلين غربي صفد وجدت ضيعة تُدعى ميرون يحجُّ اليها العالم اليهوديُّ لانَّ فيها على زعمهم قبور بعض مشاهير الحاخامين الاقدمين كيوحنَّان سَندلار وشمعون ابن يوحاي والرَّبانيين الاعظمين هلّل وشمَّاي. وليهود طبريَّة هناك ارضٌ سعتها مئة هكتار. ولهم ١٣٥٠ هكتارًا في كفر سبت بين الناصرة وطبريَّة و ٤٥٠ هكتارًا عند فرعيم بقرب صفد. ولبعض اليهود في حطّين ٩٠ هكتارًا ارضًا

امَّا مستعمرات اليهود في بلاد صفد فستٌّ:

١ً « روش فنا » اي رأس الزاوية مركزها في قريَّة جاعونة بين صفد والاردنّ لبعض يهود رومانية في سنة ١٨٨٢ وهي اليوم ملك روتشيلد باتت مساحتها ٧٢٠ هكتارًا يفلحها ٢٠٠ عامل وفيها تزرع الحبوب ودواليها ٢٠٠٠٠٠٠

٢ً عين الزيتون شمالي صفد ابتاعها اليهود سنة ١٨٩٠ ليستثمروا غلّاتها ومساحتها ٤٣٠ هكتارًا

٣ً مستعمرة (محنايم) مع ملحقاتها عرب الاكراد وعلما وماوطيَّة وهي اخصب قرى بلاد بشارة بين صفد وبحيرة الحولة. وكل هذه الاملاك تختص روتشيلد وهي واسعة جدًّا فان محنايم وحدها مساحتها ٤٧٠ هكتارًا

٤ً مستعمرة جسر الاردن المعروف بجسر بنات يعقوب. اشترى هناك بعض ذوي الثروة من اليهود سنة ١٨٨٦ اراضي تبلغ سعتها ٢٠ هكتار واحلَّ فيها قوماً من امّتهِ ليتملكوها شيئاً فشيئاً بأجور شغلهم

٥ً «مشمر هيَرْدن» اي حراسة الاردن وهي قرب مستعمرة جسر الاردن تبلغ ١٨٠ هكتاراً امتلكها ربَّاني من صفد وغرس فيها ٧٠٠٠٠ دالية لعصر الخمرة

٦ً خربة زيد وبالعبرانية יסוד המעלה على شاطئ بحيرة الحولة اقتناها يهود روسيُّون سنة ١٨٨٣ ثمَّ تملَّكها روتشيلد سنة ١٨٨٨ مساحتها ٢١٦ هكتاراً. يسكنها قوم من اليهود ويرتزقون بتقطير الماورد وصيد سمك البحيرة الّا ان الحمّيات تكثر فيهم وتفتك بكثيرين

وقد سمعنا ان اللجنة الفلسطينية البارسية حصلت منذ زمن قريب على الف هكتار من الاراضي الواقعة غربي عيون الاردن حيث تملَّكوا قرية المطلة. واليوم ترى السماسرة اليهود يطوفون معاملة مرج عيون لتحصيل املاك جديدة فيها

ب حيفا وملحقاتها

كانت لجنة «احياء صهيون» في عام ١٨٩١ تملكت ضيعة كفرعتّا ثم بادرت ان تشتري جزافاً بقاعاً واسعة على سيف البحر بين حيفا وعكّا ولمَّا كان الامر على وشك التجاز علمت الحكومة السنيَّة بهذا الامر وفُسخ عقد البيع بارادة سنيَّة لئلا تقع كلُّ سهول عكّا الخصبة في ايدي اليهود

ولبني اسرائيل مستعمرات زاهرة في زمَّار وخضيرة فالاولى عبارة عن ١٣٠٠ هكتار بين القيسارية والكرمل يدعونها بالعبرانيَّة «ذكر يعقوب» ولهذه المستعمرة ضيع تلحق بها كطنطورة وامّ الجمال وام التوت وكفارة وعَتليت. واهل هذه المحطَّات نحو الفي نفس. انشئت هذه المستعمرة سنة ١٨٦٢ وهي اليوم تحت حماية روتشيلد الذي لا يزال يُعنى بتحسينها وتوسيعها. امّا خضيرة فقد امتلكتها شركات روسيَّة سنة ١٨٩٠ وغرست فيها ١٥٠٠٠٠ نصبة كرم

ولهم ايضاً املاك واسعة عند جبل الطور في مكان يعرف بالشجرة وفي سهول مرج ابن عامر. قيل انهم استملكوا هناك نيفاً والفي هكتار

وفي البطائح المذكورة مكان يدعى ابا شوشة مساحتهُ اربعة آلاف هكتار تخص

اليهود القدسين برغم (Bergheim) اصحاب مصرف في اورشليم. ويقوم بشؤون هذه الاراضي فلاحون بلديون يؤدُّون ربع غلاتهم لاصحاب الملك

• حوران وعبر الاردن

ان املاك اليهود في حوران اوسع من مقاطعة كبرى من مقاطعات الشام. ولجنتهم الفلسطينيَّة في باريس قد تمكَّنت في عام ١٨٩٢ من ابتياع ١٢٠٠٠ هكتار في جوار قرية شيخ سعد تشتمل على ضياع سحم جولان وجلّين وتلّ عميدون وبيت أكّار الخ خلا ٩٠٠٠ هكتار غيرها جعلها اليهود ملكاً لهم في محلات اخرى كبيتيا وخان الشيخ قريباً من دمشق عند سفح جبل حرمون

لكنَّ اليهود يعرفون من الاسفار القديمة ما لبلاد جلعاد ومؤاب في عبر الاردن من الخصب والدسم فلم تقلّ بهم عنها بارقة الطمع وحاولوا امتلاك تلك الاقطار. ولمَّا كان اللورد غوشن الاسرائيلي سفيرًا في الاستانة عرض على الحكومة السنيَّة ان يجعل تلك النواحي التي مساحتها نحو ٦٠٠٠٠٠ هكتار مستعمرةً لليهود تحت نظارة الباب العالي يسوسونها كما يشاؤون بشرط ان يدفعوا لمولانا السلطان مبلغاً عظيمًا من الدراهم لا يقلّ عن بضعة ملايين من الفرنكات

غير ان الدولة السنية لم تلبّ دعاء اللورد غوشن واغنياء اليهود فذهبت آمالهم ادراج الرياح. وكانت غايتهم بذلك ان يمهدوا الطريق لابناء جلدتهم لانشاء مملكة مستقلة في الاراضي المقدسة كما كانت قبل المسيح

هذا ولم يزل اليهود يطمحون ببصرهم نحو عبر الاردنّ. ولما اجتزنا منذ ثلاث سنين في تلك الاقطار اخبرنا مختار مُكيس ان للبارون دي روتشيلد عمّالاً في تلك النواحي يطوفونها في كل جهاتها ليمتلكوا لسيّدهم اراضي يجعل فيها اليهود ليفلحوا ويستغلّوا غلاتها

فممَّا تقدم يظهر انَّ لليهود في فلسطين نحو خمسين الف هكتار. اما عددهم فقريب من ٨٠٠٠٠ نفس وهم في ازدياد متداوم لانَّ مهاجرة اليهود الى الاراضي المقدَّسة متواصلة يتقاطرون اليها من كل انحاء العالم

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريثر اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثالث عشر

في صحو السكران

اين انا وكم الساعة الآن... ان ساعتي واقفة... آه ان العرق البارد يتصبّب من جبيني... ما هذه الموائد (الطاولات) والاقداح... ومن اين الدواة والقلم ولماذا جيء بها... نعم قد تذكرتُ الآن قد كنّا في الاس بهذه الغرفة جالسَين بازاء هذه المائدة وجهًا الى وجه وكان نسيب يحدّثني. لكن ماذا كان يقول لي ؟.. وقد كان يناولني اقداحًا من الشراب... يناولنيها تباعًا... ثمّ انهُ طلب مني توقيع ورقة... ولكن ماذا كانت تتضمَّن هذه الورقة ؟... لقد قرأتها نعم قرأتها ويا للعجب كيف اني لا اتذكر منها شيئًا... وقد كان يلحّ عليَّ لتوقيعها فوقَّعتها محمولًا على ذلك تارةً بوعوده وتارةً بمواعيده... لقد تلاعب بي هذا الرديّ وغشَّني. غير اني لا بدَّ ان أعلم ماذا كانت تتضمَّن هذه الورقة التي حملني على توقيعها

وكان فاضل في تلك الدقيقة يهيج ويغضب وتتجعّد يداهُ وهو يتمشَّى بسرعة في الغرفة متنقلًا من زاوية الى اخرى. ثمَّ انهُ جلس بجانب المائدة وأسند رأسهُ بيديهِ هنيهةً يتأمل. وما كان غير قليل حتى نهض يتمشَّى وحينئذٍ فُتح الباب بغتةً فاذا هو نسيب فهجم فاضل على الداخل قائلًا: آه يا شقي اين الورقة اين هي

— ما هي هذه الورقة التي تطالبني بها وما معنى اضطرابك هذا وما قصدك من هذا التهديد وهذه اللهجة المرَّة ؟

— اذا كنت تريد ان تنكر فاني لم انسَ شيئًا بل اتذكَّر كلَّ ما جرى

— هوِّن عليك ولا تبالِ فما اظنُّ الَّا انَّ خمرة الامس ما برحت مؤثرة فيك. ومتى أفاق الانسان من رقادهِ بعد تكاثر الاحلام المزعجة والافكار المقلقة لا يقوى على التعقُّل وحسن الفهم

— انك تهينني وتتلاعب بي واعلم ان عقلي معي ولم اقل لك ما قلتهُ عبثًا فاسمع لي

— كيف اسمع لرجل فاقد العقل يهـذي ويخلط وقد دنت الآن ساعة الذهاب الى العمل ؟

— تقول اني اهـذي كلّا بل انك امس مساء بعد ان سقيتني كثيرا من اقداح الشراب حملتني على توقيع ورقة . وقد قرأتُ هذه الورقة

— اذا كنت قرأتها فأخبرني ماذا تتضمّن ؟

— ان افكاري غير صافية

— صفِّ افكارك ثم اخبرني

وعندها خرج نسيب وأغلق الباب بشدّة وبقي فاضل في الغرفة مبهوتًا متحيرًا وقد وقعت عليه تلك الكلمات الاخيرة التي سمعها وقوع الماء البارد على الجسم الحار . فبعد ان وقف هنيهةً في الغرفة لا يتحرك من مكانه ثاب اليه رشده وعاد يتمشى

ولمّا وضع يده في جيبه شعر بالقطع الذهبيّة التي أعطيها في مساء الامس فسُرّي عنهُ بعض همّه وقال في نفسه ماذا يفيد اهمال المحقق الاكيد والتهافت بما ليس متيقنًا . . ومماذا كانت تتضمن يا ترى تلك الورقة التي وقّعتها ؟ لا علم لي غير اني اصبحت في حالة حسنة وقد وعدوني بقـدر ما أُريد من الذهب وسيعطونني قطعةً من الارض خصوصيّةً لاستخراج ما فيهـا من المعدن الثمين ولا شكّ اني سأُصيب غنى بل غنى وافرًا . آه لو كانت والدتي . . . ولكن لعلها رحلت من هذه الدنيا وقد اخفوا عني خبر موتها لئلا تذهب بحياتي هذه الصدمة الهائلة . . . وماذا عسى ان يكون قد حلّ بشقيقتي . . . ألعلّها هي ايضًا . . .

وقد ثقلت هذه الافكار على فاضل فاستسلم للحزن الشديد الا انهُ بينما كان على تلك الحال من الغمّ والهمّ فُتح الباب ثانيةً وسأل نسيبٌ فاضلًا

— هل سكن منك الغضب يا خواجا فاضل ؟

— قد كنت اتأمل

— اما رأيت انهُ كان من الأفيـد لك ان تكون اقلّ حدّةً وسخطًا . امّا الآن وقد وعيت وعقلت فما بقي لك الّا ان تصحبني فتحصّل معي المكاسب والارباح ولكن ينبغي ان تعدني بكتم السرّ كتمًا شديدًا غير متصنع وانت تعرف شروط العمل عندي

— وماذا تعطيني ؟

— اعطيك ذهباً كما سألتني. غير اني في الوقت الحاضر قد اعطيتك كفاية
— لقد وعدتني بقطعة ارض استغلها لحسابي
— حسنٌ فاتبعني ولكن التزم السكوت واياك ان تنطق بكلمة عمّا مضى بل كن أخرس اصمّ كدافن الاموات
— ها انا تابع لك وساعمل بكل ما تقول وتطلب

الفصل الرابع عشر
في قتل نسيب

وفي غد ذلك اليوم اذ كان الجوّ وتتنفر صافياً واديم السماء ازرق الى الشهبة والارض مبتلّة بسبب ذوبان الثلوج. اسرع نسيب وفاضل وابعدا عن مدينة داشون ذاهبين الى الاراضي الذهبيّة التي كان ابتاعها الاول بثمن غالٍ في محل بعيد عن المدينة وسببهُ ان كل الاراضي القريبة كانت مشتراة

ومن شرائط التعدين في تلك الارض انّ المدّن اذا اختار قطعةً لاجل استغلالها يجب عليهِ ان يستحصل رخصةً من الحكومة ولا يكون ذلك بدون صعوبة لان الحكومة تحتفظ بقطعة من كلّ قطعتين في الاراضي الذهبيّة وتستوفي مقابل الرخصة رسماً اولياً قدرهُ ١٢٥ فرنكاً ثم رسماً سنوياً قدرهُ ٥٠٠ فرنك. ثم ان القطعة الرُخص باستغلالها لا يتجاوز طولها ١٥٠ متراً اذا كانت واقعة على ضفاف نهر وثلاثين متراً مربّعاً اذا كانت في ارض اعتيادية. ويلزم ان تُقام عمدٌ على زواياها لاجل تحديدها ويُكتب عليها اسم مالكها وتاريخ امتلاكهِ. وكل قطعة يُترك العمل فيها اثنتين وسبعين ساعةً تُحسب مهملةً من مالكها فتعود الى الحكومة

فبعد معاملات طويلة واتعاب جمة توصّل نسيب الى تحصيل الرخصة بامتلاك قطعة من الارض الذهبيّة باسم فاضل. وقد اخذهُ في اليوم السابق ذكرهُ لدلالتهِ عليها وابتدأ الشغل فيها طبقاً لما كان قد وعدهُ

ومذ ذاك اخذ فاضل يأتي كلّ يوم الى القطعة التي اشتراها لهُ نسيب غير انّهُ ما لبث ان زهد فيها نظراً لصعوبة العمل. ولا يخفى ان فاضلاً كان قد تعوَّد في شيكاغو نوعاً آخر من المعيشة لانهُ كان يكتفي بألعاب البورصة فتدفق الدراهم بكثرة على صناديقهِ. نعم ان « بيترس لاضف » كان قد تعاطى صناعة البائع المتجوّل وذاق منها

مرارة عظيمة واتعاباً شاقّةً قبل ان يحصّل تلك الثروة الطائلة ولكن من شأن الانسان ان ينسى الاحوال الصعبة في حياتهِ غير متذكّرٍ الّا ايام الخير والسعادة. وعليهِ فكان فاضل يفتكر في حالتهِ بمدينةِ شيكاغو ويقابل بينها وبين حالتهِ في داشون حيث يشتغل كعامل بسيط ويقضي نهارهُ في ضرب الارض بالمعول والتنقيب في تلك التربة المتجمّدة. وغير خافٍ انهُ لمَّا كان قد نشأ في بلاد حارّة لم يكن قد اعتاد مناخ القطب الشمالي فضلاً عن ان القطعة التي يعدّنها لم يكن يستخرج منها بقدر ما كان يأمل فانها ما كانت تعطيه في يومهِ سوى خمسين دولاراً ومعلوم ان المرء متى حصل الغنى تشتدّ فيهِ رغبة الربح ولا يعود يقنع بالقليل

فلاجل هذا كان فاضل يخاصم على الدوام نسيباً ويشتمهُ ويلمن الساعة التي صاحبهُ فيها. وفي ذات مساء بلغ منهُ الغضب حدَّهُ وعاد الى مأواهُ والشرر يتطاير من عينيهِ وما كان بعد ان ثارت في رأسهِ حميا الخمرة الّا ان قام يشتم نسيباً ويسبُّهُ واتصل الامر بالاثنين الى التلاكم

وبيان ذلك ان فاضلاً لمَّا كان قد استخرج من الذهب في يومهِ ذاك اقلّ من العادة بكثير رجع محتدماً من الغيظ وعرَّج في طريقهِ على خمَّار في تلك الجهة. فبعد ان امتلأ من الشراب ودفع آخر ما معهُ من الفلوس توجَّه الى حيث كان مقيماً وضرب الباب برجلهِ ضربة قويّة ففتحهُ. فلمَّا رآهُ نسيب خاطبهُ قائلاً: « ما الداعي الى هذا الغضب يا فاضل ؟ »

امَّا فاضل فلم يجب ولكنهُ بعد ان اغلق الباب وراءهُ بقوَّة قال: « اني محتاج الى دراهم »

— سأعطيك

— لا بدَّ ان تعطيني الآن

— اتهزأ بي ؟

— لا بل انت تهزأ بي من زمان مديد

— دع الغضب. ألا تعلم انك تحصُّني وفي قبضة يدي ؟

— يا لك من شقي يجسر على امتهاني. ويا لك من كذوب شرير بعد ان كنت سارقاً وقاتلاً

— انك دائمًا تقذفني بهذه الشتائم التي ملّت اذني سماعها

— أريد دراهم أسمعت ام لم تسمع ؟

— لن أعطيك فلسًا

— اني آخذ الدراهم غصبًا عنك والا . . . بيّنت للناس اسمك وعرّفتهم بجرائمك

قال هذا وتماسك الاثنان وماكان كلمح البصر حتى انطرح احدهما على الارض يختبط بدماه وقال فاضل : قد شفيت منك الآن نفسي ايها القاتل

انتهى القسم الثالث (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

RAPPORT SUR UNE MISSION SCIENTIFIQUE EN TURQUIE D'ASIE
Recherches sur la Musique orientale.
بحث في الموسيقى الشرقية
par Dom J. Parisot, Paris, 1899, in-8, 250 pp.

توجهت خواطر الاوربيين الى الشرق فلم يتركوا من آدابه بابًا الّا ولجوه ومن فنونه بحثًا الّا خاضوا غمراته . ولمّا كان علم الانغام لديهم من الفنون الجميلة أحبوا ان يطّلعوا على موسيقى الشرقيين واصولها . فنهم من كتب في الموسيقى المدنيّة كالدكتور لند وسالمادور دانيال . ومنهم من أولع بالموسيقى الكنسيّة وقابل بينها وبين الغناء المعروف بالغريغوري . والذين بحثوا عن خواص انغام الكنيسة اليونانيّة في زماننا اكثر من ان يُحصوا . وقد سمعنا ان حضرة الاب كوتورياه (Couturier) طبع لتلامذة مدرسة القديسة حنة مجموعًا من التراتيل الكنسيّة يتغنون بها في طقسهم اليوناني . واهتمّ الابوان اليسوعيّان بلين (Blin) وباده (Badet) بتدوين الالحان القبطيّة فطبعا منها انغام القداس الالهي . ومنذ سنتين احتلّ اصقاعنا حضرة الموسيقيّ الشهير الاب جانّين (Jeannin) البنديكتي فدوّن بالعلامات الاوربيّة اكثر الحان الكنيستين السريانيّة والكلدانيّة . وفي تلك الاثناء كان نزل في كلّيتنا ضيفًا كريمًا حضرة الاب حنّا باريزو من رهبان ليكوجاه (Ligugé) المنتمين الى القديس مبارك فجمع بايعاز وزير العلوم والآداب في فرنسة ما تيسّر لهُ من الحان الكنيسة المارونيّة اخذها عن مشاهير المغنّين

في بيروت ولبنان نخصُّ منهم بالذكر المرحوم منصور الحكيّم وساعده على تحقيق امانيه اساقفة الكنيسة المارونيَّة الاجلاء. لاسيما سيادة المطران يوسف الدبس وفقيد البيعة والوطن المطران بطرس البستاني. ولمَّا عاد حضرة المؤلف الى فرنسة بادر الى تسطير كتاب واسع اودع فيه كلَّ ما استفاده من هذا القبيل

وصدَّر تأليفهُ بمقالة واسعة ذكر فيها قرارات الالحان تلخيصاً عن رسالة الدكتور مشاقة التي نشرناها تباعاً في اعداد المشرق. ثم اتبع ذلك بمئتين واربعة عشر لحناً من الحان الكنيسة المارونية في كل رتبها الدينية. وتدوين الالحان بالعلامات النغميَّة (notes) على غاية الاتقان. ويلي هذه الالحان السريانيَّة الحان عربيَّة منها دينيَّة (من العدد ٢١٤ الى ٢٥٦) ومنها عاميَّة (٢٥٧ — ٢٨٨) وعقب ذلك بنغمات للكنيسة السريانيَّة الانطاكيَّة (٢٨٩ — ٣٠١) والكنيسة الكلدانيَّة (٣٠٢ — ٣٥٤) وختمها باربعة الحان من غناء اليهود في اعيادهم ومناحتهم على اسوار اورشليم (٣٥٥ — ٣٥٨)

فهذا المجموع كما ترى حريٌّ بكل ثناء. ولعلَّهُ يثير في قلوب بعض الشرقيين الرغبة في درس الغناء الشرقيّ ومواقفته على الغناء الفرنجيّ. وكنَّا نودّ لو لم يمزج المؤلف بين اوزان النغمات كما فعل في كثير من الالحان اذ ينتقل من وزن الى آخر في النغمة الواحدة بل في السطر الواحد ونظنُّ انَّهُ كان الاولى به ان يفرّق بين الاوزان بخطوط اصطلاحية وقد حاول بخلاف ذلك ان يحفظ وزناً واحداً لبعض الانغام العربية فذهب رونقها الاصلي وصارت كانها اوربيَّة محضة (هكذا فعل في عدده ٢٤٧ انَّ قلبي صار مغرم) ولاحظنا ايضاً في العلامات بعض الخلل حتى اذا سمع الشرقيّ النغمة كما دوَّنها المؤلف لم يعرفها (راجع العددين ٢٢٥ لك التسبيح والشكران و ٢٣٠ يا امّ الله)

وغاية ما نتمنى لهذا الكتاب ان يقدّرهُ العلماء قدره فانهُ حقيقةً من ابدع ما كُتب في الموسيقى الشرقيَّة. ونبدي الامل بان يسعى الموسيقيون بوضع طريقة سهلة لتدوين الالحان الشرقيَّة يجري عليها كلُّ ارباب الغناء.

Inscriptions Mandaïtes des Coupes de Khoubeir

كتابات للمندائيين او الصابئة مخطوطة على اقداح خُبَير

par H. Pognon, consul de France à Alep

Deux parties, pp. 232, Planches 31, Paris, 1898-1899

المندائيون ويدعون بالصابئة قومٌ من بقايا الشيع الغابرة وهم اليوم يسكنون العراق

على ضفَّة نهر دجلة وعند شطّ العرب امَّا اخبارهم فلا تزال الى عهدنا مكتومة خفيَّة وقد وعدنا حضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي بان يكشف القناع عن احوالهم بمقالة مستوفية ننشرها ان شاء الله في اعداد سنتنا القادمة

وممَّا يساعد العلماء على استجلاء امرهم كتابات عديدة صابيَّة اكتشفها العلامة المستشرق سعادة هنري پونيون قنصل فرنسة في حلب وهي مسطَّرة على اقداح من الخزف وُجدت في خُبير على ضفَّة الفرات اليمنى على مسافة ٥٥ كيلومترًا من مسيب بينها وبين كربلاء. فبادر المسيو پونيون الى فحصها وتمكَّن من قراءتها الَّا اسطرًا منها طُمست لطول عهدها. ثم ترجمها الى الفرنسية وعلَّق عليها حواشي لغويَّة كثيرة الفوائد تدلّ على ذكاء صاحبها وسعة علمهِ. وزيَّن كتابهُ برسوم هذه الاقداح وألحقهُ باربعة مُلحقات جمع فيها ما امكنهُ من اخبار المندائيين نقلًا عن الكتبة الاقدمين لاسيما عن احد مؤرخي السريان يدعى تاودورس برخوني في كتابهِ الحادي عشر من تاريخهِ المعنوَن «كتاب الاسكوليون». فنحن نشكر لسعادة قنصل حلب هذه الخدمة الجليلة للعلوم الشرقيَّة ونتمنى ان يتحفنا بشيء من الطُرَف الادبيَّة والعلميَّة التي اذَّخرها في بغداد اثناء تولّيهِ قنصليَّة تلك الحاضرة

ل. ش

شَذَرَاتٌ

※ انتقاد صاحب الضياء ※ يظنّ جناب منشئ الضياء انهُ بالتهكّم يحلّ ما تعرقل بهِ من المشاكل فساء ما ظنّ. وذلك انَّ جنابهُ امتعض من تفنيدنا لمزاعمهِ في الدين (المشرق ٣: ٨٩٩, ٩٩٧) والتاريخ (٣: ٦٦٩, ٧١٧) واللغة وهو يدَّعي لنفسهِ فيها الامامة (١: ١١٣٦ و٢: ٦٠٩ و ٧٩٤ و ٩٧٢ و ١٠٦٨ و ١٩٦٥) فاخذ يطلب في مجلَّتنا وتآليفنا الجديدة ما يشفي بهِ حرقتهُ فلم يجد. فجعل يقلّب مجموعنا الموسوم بمجاني الادب لعلَّهُ يصيب فيهِ مغمزًا ولمَّا ظفر على بعض اغلاط في طبعاتهِ الاولى دوَّنها في مجلته ظنًّا منهُ انَّهُ يطعننا بسهم يكون القاضي علينا. فبيَّنا لهُ انَّ سهامهُ طائشة وان بعض هذه الاغلاط التي ذكرها نُقلت عمدًا عن النُسَخ التي اخذنا عنها كما يفعل العلماء المستشرقون ونبَّهنا عليها في شرح المجاني وبعضها أُصلح في طبعات المجاني الاخيرة اصلاحًا افضل من اصلاح صاحب الضياء لانَّهُ هو عوَّل على الحدس والتخمين بينما نحن استندنا الى نصوص قديمة. فرأى الشيخ جوابنا مسكتًا غير انهُ في ضيائهِ الاخير عاد الى جملة من القزويني زعم انَّنا صحَّفناها بنقلنا فلم نسلّم بالتصحيف وهذه جملة القزويني: «وسببهُ (اي سبب كسوف الشمس) كون القمر حائلًا بين الشمس والابصار لان جرم القمر «كمدّ» فيحجب ما وراءهُ عن

الابصار» فاراد الشيخ ان يُصلح « كمد » بكَمد. فاجبنا: ١ً ان الاصل المنقول عن اربع نسخ تروي « كمد ». ٢ً انَّ « كمُدَ » توفّي المعنى لان القزويني اراد ان كسوف الشمس يحدث عند إبدار (١ القمر واستدارته على شكل مدّ. فقهقه الشيخ واستغرب ضحكاً وشرّ الثوائب ما يضحك. وزاد على تهكّمه البارد قوله: « وكنا نظنّ انّ حضرة الاب امام في اللغة فقط فاذا هو من العلماء المتبحرين في الفلك ايضاً ». فلم يبقَ لنا بعد ذلك الّا ان ننشر خجلين منكوسين بازاء فارس هو « امام اللغة وعالم متبحّر في الفلك معاً »

ولكن يسوءنا ان نقول لجناب الشيخ انهُ زوّر كلامنا لاننا لم نثبت كما زعم لقرائنا « انَّ القمر كمد » بل انَّ نصَّ القزويني صحيحٌ كما رويناهُ. واحتججنا عليهِ باربعة براهين: (اولاً) انَّ اربع نُسخ تروي كما روينا. افيجوز ان نعدل عنها لترضي جناب الشيخ « امام اللغة والمتبحّر في علم الفلك ». (ثانياً) انَّ لهذه الرواية وجهاً لان الكل يعلمون ان البدر عند تمامهِ يظهر مستديراً للعين كقعر المدّ فاخذ القزويني هذا التشبيه لقربهِ من فهم القرّاء. وفي الاصل صورة القمر على هذا الشكل ولولا ضيق المكان لرسمناها هنا لبيان مقصد المؤلف. فشتان اذن بين شرحنا الصوابي وتزوير صاحب الضياء لكلامنا وتهكّمهِ في حقنا. (ثالثاً) اننا ننكر على الشيخ انَّ « كَمد » تستوفي معنى المؤلف. لانَّهُ شرح « الكمد » بمعنى الكئيف وهذا لا وجه لهُ في كتاب من كتب اللغة. والكُمدة في اللغة تغيُّر اللون. واذا كُسفت الشمس لا يتغير لون القمر بل تحتجب عنا الشمس لان القمر يكون حينئذٍ بيننا وبينها كمدّ مستدير لا يُرى ما وراءهُ من الاجرام. (رابعاً) وزد على ذلك انَّ القزويني اذا اراد الدلالة على عدم شفوف القمر لا يستعمل لفظة « كَمد » بل كثيف كما ترى في مجاني الادب (٣: ٢٦٢ س ١٨). فبطلت اذن حجَّة الشيخ وظهر لكل البيان انَّهُ مكابرٌ وان تهكّمهُ صبيانيٌّ خلوٌ من آداب المناظرة

※ علم الهلال ※ كانَ الهلال بعد ان قلّمنا اظفارهُ تطاولهِ على الامور الدينية (المشرق ١: ١٥٤ و٢٣٨ و ٣٣٣ و ٤٧٩ و ١١٠١ و ٢: ١٨٦) لم يعد يتعدّى طورهُ ويتعرَّض للدينيات. وكانَّهُ خجل من سكوتهِ وأبى الّا ان يتنبأ في نغمة المقتطف والضياء. فانهُ في عددهِ الاخير (١٥ ت ٢ ص ١١٧) زعم « انَّ العلماء وجدوا بابحاثهم الاخيرة في الانسان ان اسنانهُ اكثر عدداً واعظم جرماً مما هي عليهِ اليوم ». ثم قال: « وزعم بعضهم انهُ كان يستخدمها للدفاع عن نفسهِ كما تفعل الحيوانات المفترسة فلمَّا تمدَّن وطبخ طعامهُ وقلَّت حاجتهُ الى خشونتها ومتانتها ضعفت وصارت كما هي الان ». يوهم بذلك سامحهُ الله انَّ الانسان كان كما زعم دروين حيواناً ثم بتوالي الدهور صار الى ما هو عليهِ اليوم. واغرب ما وجدناهُ في هذا القول انَّ صاحبهُ نسبهُ الى

---

١) ألحق جناب المنتقد هذه الكلمة بلفظة (كذا) ليوهم القراء انَّ « أبدر » لا تأتي بمعنى صار بدراً. وكفى شاهداً زدّ زعمهِ قول التهامي الشاعر الشهير في رثاء ابنهِ:

وهلالِ ايامٍ مضى لم يستدرْ   بدراً ولم يُمهَل لوقت سرارِ
عجل الخسوف اليهِ قبل اوانهِ   فمحاهُ قبل مظنّة « الإبدارِ »

ولعلَّ امام اللغة لا يرضى بقول التهامي كما يردّ قول كل جهابذة اللغة مكابراً

العلماء. فان كان صادقاً فليذكر اسماء هؤلاء العلماء الذين نجهلهم وليعلمنا في اي متحف وُجدت جمجمة انسانٍ تختلف عن جماجمنا من حيث كثرة الاسنان وعظم الجرم. فان لم يستطع فما لهُ اثارهُ الله يخدع هكذا القرّاء وينسب خداعهُ الى اقاويل العلماء. وما زادنا عجباً من منشئ الهلال قولهُ بعد كلامهِ السابق ذكرهُ: « وبحثوا (العلماء) في تاريخ العيون . . . فلاح لهم بقياس التمثيل (؟) انَّ الانسان كانت لهُ ثلاث اعين عينان جانبيتان وعين رأسية (!!!) يرى فيها ما فوقهُ واستدلوا على ذلك بانَّ عينيهِ كانتا في اقدم زمانهِ جانبيَّتين ثم تقاربتا نحو الامام ولا تزالان تتقاربان حتَّى الان. وذكروا مثل ذلك التغيير في الآذان والانوف »

فلمَّا قرأْنا هذا الفصل حسبنا ان ابصارنا خدعتنا او نحن في منام تلاعبت في مخيَّلتنا اضغاث الاحلام. فكرَّرنا قراءة هذه النبذة البديعة وتحقَّقنا ان الهلال بقولهِ هذا اخسف ولا اخساف الضياء والمقتطف اذ جعل الإنسان مسخاً اشنع من قرد دَروين. فيا لله أهذا كلام جريدة تنعت نفسها « بمجلة علميَّة ». نناشدك الله ايها الهلال ان تمحو عنك هذه الوصمة وتُعلم قراءك بانَّ ما كتبتهُ دعابةٌ وهزل وان تيقَّنت صحَّتهُ فأفدنا عن ذلك ودافع عنهُ بالحجَّة نفنّد قولك ان شاء الله بالبرهان

أسئلة وأجوبة

س سأَلنا ب . ع . من حلب لاي سبب دعي اسكندر الكبير عند العرب بذي القرنين

لقب الاسكندر ذي القرنين

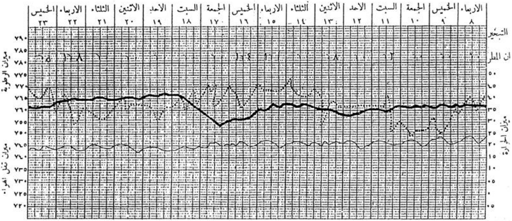
ج قد اختلف كتبة العرب في ذلك فمنهم من يزعم ان القرنين دلالة على قوَّتهِ ومنهم من يريد انهُ لُقب بذلك اشارةً الى تملكهِ على الشرق والغرب. وعندنا انَّ السبب الصحيح ما ذكرهُ اريان في ترجمة الاسكندر اذ قال عنهُ انهُ بعد فتح مصر زار هيكل عمون الشهير واطَّلع على اسرار ديانتهِ الخفيَّة ثمَّ امر بعد ذلك لاكرام الاله ان تُرسم صورتهُ على نقودهِ بقرنين يزينان رأسهُ. فشاع الامر عند الشرقيين ودُعي لذلك بذي القرنين

س وسأَلنا حضرة الاب سكياس الارمني عن معنى اسم دير القمر وبيت الدين ولاي سبب تنسب دمشق الى الشام فيقال دمشق الشام

اسماء دير القمر وبيت الدين ودمشق الشام

ج نجيب على الاول انَّ اشتقاق اسم دير القمر من السريانيَّة ܩܡܪܐ ومعناها الدائرة والمنطقة لشبه موقع دير القمر بدائرة. ومعنى « بيت الدين » من السريانيَّة ܒܝܬ ܕܝܢܐ اي المحكمة لانَّ فيها كانت تجري الأحكام. اما نسبة دمشق الى الشام فالمراد بذلك « دمشق عاصمة الشام » فاختصروا بقولهم: دمشق الشام ل . ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ٨ الى ٢٣ تشرين الثاني ١٨٩٩



انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخطّ الرفيع التابع (—–) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر المِلمترات